



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

موسومة بـ:

النقد عند حازم القرطاجني

إشراف:

* أ: تكوك الحبيب

إعداد الطالبة:

* دالع بختة

السنة الجامعية: 2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

"إذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه

رحمة إذا فريق منهم يربهم يشكرون "

الآية 33 سورة الروم.

أَمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا الذي أوتي جوامع الكلام، عليه وعلى آله وأصحابه وأفضل وأتم التسليم وبعد:

عندما يجرى الحديث بين طلاب الأدب ونقاده بخصوص النقد يكون حازم القرطاجني أحد أقطابه البارزين الذين يتمحور الحديث عنده، وتبقى أرواه النقدية الجريئة، ونظراته الصائبة عن أصوله وطرق بنائه محط إعجاب الجميع لكونه استقطاب النظرية وعبد القاهر الجرجاني، وابن الأثير والعلوي صاحب الطراز وغيرهم.

ولكن بعد قراءتي لكتاب منهاج البلغاء وسريع الأدباء بحثا عن مصطلح تقوم عليه دراستي لفت انتباهي كلام حازم على الذوق في أكثر من موقع، فسألت عن هذا المصطلح بحازم خشية التورط في موضوع لا طاقة لي به، فكثرت علي الآراء وتضاربت بين مؤيد ومعارض ولكن في داخلي حافزا يدفعني للاستمرار خاصة إذا قرأت كتاب المنهاج. فحازم كان شاعر وأديبا وناقدا قبل أن يكون فلسفيا منطقيًا، والشاعر والأديب والناقد لا غنى لهم عن الذوق بحال من الأحوال، فكان هذا الكلام بمثابة دفعة قوية لا رجعة بعدها.

وكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء من الكتب النقدية التي قدمت جهدا لا يتساهان في صناعة الشعر والنقد، والكشف عن أساليب العرب في كلامهم وتصويب ما خرج عن قواعدهم، وغريلة التراث العربي مما نسب إليه من ضعف الرواية، فكان الكتاب بحق كتاب نقد بمنهج متميز.

ولقد ركز النقاد والأدباء كثيرا على هذا الكتاب (منهاج البلغاء) وأجروا عليه دراسات وتناولوه في رسائلهم ومقالاتهم، لكن غالبيتهم كان منصبا على المحاكاة والتخييل، أو على إحصاء المصطلحات النقدية في هذا الكتاب وشرحها شرحا بسيطا وعلى حد علمي لم أجد من أفرد دراسة خاصة بكلمة "الذوق" في كتاب المنهاج، فكان هذا حافزا آخر يدفعني لإتمام طريقي وحتى يكون للقارئ صورة صحيحة عليه أن يدرك ان كلمة الذوق الأدبي ليس صورة واحدة يتفق عليها النقاد، بل أنه يختلف باختلاف الأفراد، أو يندر أو يستحيل أن تجد اثنين يتفقان في حكمها على نص واحد لعوامل متعددة بعضها يرجع إلى أصل الاستعداد والموهبة

والبعض الآخر يرجع إلى العوامل المحيطة من بيئة وثقافة وهذا الاختلاف هو الذي يجعلنا لا تضيق ذرعا بتعدد التي تقابلها في التفسير الأدبي.

كما وضعوا قواعد وحدود لتمييز ما يعير عن الأذواق عن غيره مما يجب أن يطرح وحازم أولئك الذين تنبهوا لهذا الفرق فكان ذكر الذوق هو صفايا لصحة والسلامة والقبول، ليضع حدا للأذواق الشاذة وغير المعتمدة.

وبناء على ما ذكرناه سابقا بأن مصطلح أو كلمة الذوق من مجموعة المصطلحات التي وردت في المنهاج لأن المصطلحات الأدبية والنقدية تعد قوام الدراسة النقدي.

كما جعلت النقد مرتبطا بكلمة الذوق في دراسة بحثي فجاءت إشكالية بحثي كالاتي:

-كيف كان النقد عند حازم القرطاجي؟

حيث تتفرع عن إشكالي مجموعة من التساؤلات وهي:

-ما المقصود بالنقد الأدبي؟ وكيف توصل هذا النقد؟

-ما المقصود بكلمة الذوق؟ وكيف كانت مدى أهميته بهذا المصطلح لدى حازم القرطاجي؟

-ما تفسير وتكرار حازم لمصطلح الذوق، وكيف وظفه في مناهجه؟

-ما هي الأسس النظرية التي تربط كلمة "الذوق" بالنقد الأدبي؟

-من هذه الإشكالية الرئيسية ومجموعة التساؤلات الفرعية جاء العنوان الأتي "النقد عند

الحازم القرطاجي من خلال كتابه مناهج البلغاء وسراج الأدباء"

والنقد هو: تمييز الدارهم ومعرفة جيدها من رديئها.

وجاءت هذه الدراسة من خطة اقتضت أن تكون في شكل مدخل، ومقدمة وفصلين

تتاولا صلب الموضوع وخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث

وتفصيلها: المقدمة: تناولت فيها بصفة عامة عن النقد الأدبي لدى حازم القرطاجي.

المدخل: تناولت فيه المصطلحات النقدية وحازم القرطاجي وكتابه مناهج البلغاء وسراج

الأدباء.

أما الفصل الأول فخصصناه لمفهوم النقد لغة واصطلاحاً وكيف كان النقد قديماً كما عالجت فيه أهم السياقات والتواصل عبر الشعراء ابن سينا- والفارابي- ابن رشد مع الأسس والمعايير التي كان يقوم عليها النقاد للحكم على النقد.

أما الفصل الثاني: فكان عبارة عن جانب تطبيقي حيث تناولنا فيه: تعريف بكلمة الذوق ومادة الذاق في المعاجم اللغوية واستخراج السياقات وتحليلها في كتاب مناهج البلغاء وسراج الأدباء.

وأخيراً خاتمة التي توصلنا إليها عبر عدة نتائج قد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع كانت الزاد المعرفي ولعل أبرزها كتب النقد والنقد الأدبي القديم وكتاب مناهج البلغاء وسراج الأدباء.

كما اعتمدت في خطة بحثي على منهج تاريخي الذي تناولنا فيه بصفة عامة وخاصة دراسة النقد، وكما واجهتني بعض الصعوبات والعوائق من أهمها لغة المؤلف البالغة، والحمد لله الذي أتمت مذكرتي وخرجت في حلتها الأخيرة وسعيت قدر الإمكان حيث أن تكون دراسة جادة ومثمرة وكغيرها من الدراسات لا تخلو من الأخطاء.

إن المصطلحات العلمية تعتبر عند أهل الاختصاص الركيزة الأساسية للعلوم وبميلادها يبدأ الوجود العلني للعلم.¹ ويتطورها عبر العصور والأزمان يكون تطور العلم فالمصطلح أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي.² ومن ثم كانت دراسة المصطلحات من أوجب وأسبقها وأكدها علي كباحث في أي فن من الفنون، التراث ... لأنها الخطوة الأولى للفهم السليم.³

فهي مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي وقد قيل أن فهم المصطلحات نصف العلم لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم والأهمية البالغة للمصطلح في الساحة العلم، اتخذت الشبكة العالمية للمصطلحات في فيينا بالنمسا شعارا المعرفة بلا مصطلح.⁴

والمصطلح النقدي لكل عملية عقلية يحتاج إلى جهد ورقة عمل في ضوء دراية وإدراك ويتميز بأنه لفظ يتواضع طائفة من أهل الاختصاص فهو جهد جماعي، وهذا ما نجده في تعريفاته، حيث عرفه اللغويين العرب القدامى بأنه لفظ يتواضع عليه القوم لأداء مدلول معين، أو أنه لفظ نقل من اللغة العامة إلى اللغة الخاصة للتعبير عن عنى جديد.⁵

ويكون هذا النقل أي اللفظ من معناه العام إلى المعنى الخاص باتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص، على حد قول مرتضى الزبيدي في تعريفه للمصطلح، وهذا ما ذهب إليه أبو الكفوي في كتابه الكليات والجرجاني في كتابه التعريفات.⁶

¹ - الشاهد اليوشخي: مصطلحات نقديو بلاغية في كتاب البيان والتبين، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1955م ص 3

² - إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، نقلا عن نوح أحمد عيكل، المصطلح النقدي والبلاغي عند الأمدي في الموازنة، دار الحامد الأردن، الطبعة الأولى 2011 ص 8

³ - الشاهد اليوشخي، كتاب مصطلحات نقدية وبلاغية ص 13

⁴ - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة لبنان كاشرون الطبعة الأولى 2008 ص 265

⁵ - المرجع نفسه ص 266

⁶ - المرجع نفسه ص 266

وكذلك هو مصطلح عند النقاد المعاصرين يعرفه عز الدين يوشخي بأنه كلمة تتميز بانتمائها إلى معجم خاص وباستعمالها من قبل المختصين في ميدان معرفي معين.¹

وبدأ المصطلح النقدي يأخذ حيّزا واسعا في الساحة العلمية والأدبية وذلك مع بدأ التفجير المعرفي وتطور البحث العلمي الذي أحدثه العقل البشري في العصر الحديث.²

وسعى وراء ضبط وتحديد المصطلحات النقدية، وضع النقاد واللغويين شروطا تتفق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى، وذلك راجع لصعوبة احتواء الشروط لجميع المصطلحات.

وقد حدد علماء المصطلح جملة من الشروط الواجب توافرها في المصطلح المفضل فذكروا أن المصطلحات المتفق عليها يجب أن تكون واضحة دقيقة سهلة النطق، وأن يشكل المصطلح الواحد منها جزء من نظام مجموعة من المصطلحات ترمز إلى مجموعة معينة مترابطة من المفاهيم.³

ولخص الدكتور علي القاسمي صفة المصطلح الجيد بشرطين:

- الأول تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل.

- الثاني عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد.⁴

وفي هذا الشرطان ربما لا يتحققان في كثير من المصطلحات فهناك مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء وهناك أكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد ويرجع ذلك إلى

¹- زهيرة قروي مجلة العلوم الإنسانية، كلية اللغات والآداب قسنطينة، العدد 29 جوان 2008 ص 284

²- عباس عبد الحليم، المصطلح النقدي عند حازم القرطاجني، معجم ودراسة نقدية، دار جليس الزمان الأردن ط1 2012 ص 47

³- زهيرة قروي، مجلة العلوم الإنسانية ص 288

⁴- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبو لبنان كاشرون ط1 2001 ص 2

تعدد واضعي للمصطلح والاختلاف في الترجمة وهذا من أكثر مشكلات المصطلح في الوطن العربي.¹

فالانفتاح على الثقافات الغربية ومحاولة نقل كل ما هو جيد أدخل العملية النقدية في الوطن العربي إلى شيء من الاضطراب، خاصة أن عملية الترجمة عملية غير موحدة الغالب أعمال فردية، وقد تكون من صنع أشخاص خارج الساحة النقد، ومن مظاهر اضطراب المصطلح التعدد المصطلحي، لا شك دليل على عدم الاستقرار في مجال المصطلح العلمي وهو إشارة إلى ما تعرض له المصطلح من فوضى في نقله من لغة مصدر ... إلى لغة هدف ... بالإضافة إلى عدم توحيده عند الباحثين والسبب راجع فيما يبدو للقاسي الفهري إلى غياب تمثيل نظري للقضية المصطلحية وإلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح.²

ويرى الدكتور محمد لطفي اليوسفي أن التعامل مع المصطلحات المستقدمة من الثقافات الغربية ... تعاملًا كثيرًا ما قاد إلى افتقار تلك المفاهيم وبسطها وحولها عن مقاديرها فصارت تحجب من الظاهرة المدروسة أكثر مما تكشف.³

والمصطلح النقدي مازال يعاني فوضى وإعراض ولا مبالاة رغم نداءات النقاد والأدباء والأساتذة المختصين، حتى من طرف المجامع العربية حيث إنها لن تولي عناية كبيرة بالمصطلحات اللسانية والنقد، لأنها اتجهت عند قيامها إلى متابعة التقدم العلمي والتكنولوجي

¹ -زهيرة قروي، مجلة العلوم الإنسانية ص 288

² -محمد لطفي اليوسفي، قراءة المصطلح النقدي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الرابع عشر، العدد الأول يناير 210 ص

³ -أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم ص 5

في الغرب، وحرصت على وضع المصطلحات الخاصة به ولما تفرضه عليه الحضارة واتصال حياة الناس بها.¹

لقد ألف السيوطي كتابه الذي أسماه - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - وترجم فيه لحازم القرطاجني فقال: هو حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن خلف الأنصاري القرطبي النحوي أبو الحسن هنيء الدين شيخ البلاغة والأدب قال أبو حيان هو أحد زمانه في النظم والشعر والنحو واللغة والعروض وعلوم البيان، روى عن جماعة يقرؤون ألف، وعن أبو حيان وابن رشد وذكره في رحلته فقال حبر البلغاء وبحر الأدباء ذو اختيارات فائقة، واختراعات رائعة لا نعلم أحدا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ... يجمع إلى ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط، ويضرب بسهم في العقليات والدارية أغلب عليه من رواية ... كان مولده سنة ثمان وستمئة هجري (688 هـ)، مات ليلة السبت أربع عشرة من رمضان سنة أربع وثمانين وستمئة 684.

وكان أبوه محمد الحسن الأوسي قبل أن يولد له حازم قد هاجر من سرقسطة إلى مرسى قرطاجية الروماني العتيق، الواقع في الجنوب الشرقي من بلاد الأندلس قرب مرسية لظروف سياسية، وبهذا المكان ولد حازم واشتهر بنسبته إلى مسقط رأسه حتى عرف بالقرطاجني وقد نشأ أبو الحسن حازم في وسط ممتاز ذي يسار وقضى طفولته في عيش رغ منتقل بين قرطاجية ومرسية.

وكان يتردد على مرسية القرية من الأخذ عن أسيادها أمثال الطرسوني والعروزي وهناك درس كثيرا من أمهات الكتب حتى فاق نضرائه واكتملت عناصر ثقافته، فكان فقيها مالكي المذهب كوالده نحويا بصريا كعامة علماء الأندلس حافظا للحديث راويا للأخبار والأدب، شاعرا.

¹-جلال الدين عبد الرحمن السوطي، بغية الوعاة في طبقات فحول اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية 1979م ج1 ص 49

وحازم باجتهاده وفتحته وأخذه عن شيوخ كثير خاصة أستاذه أبو علي الشلوين الذي أمره بالاطلاع على كتب الحكمة الهيلينية، ودفعه إلى دراسة المنطق والخطابة والشعر.

ذاع صيته في مجال التنظير الأدبي، كما أننا نذكر جهود من سبقه في مجال التنظير الأدبي عند العرب كقدامة والجاحظ والجرجاني وابن ريق وغيرهم، والتي أفاد منها القرطاجني نفسه كما أفاد أيضا من جهود أرسطو في هذا المجال، فهو على حد تعبير إحسان عباس ملقئ الروافد العربية واليونانية جميعا. وأفاد حازم خاصة من نظرية النظم الجرجانية ولكنه استطاع تجاوزها حيث تحدث عن النظم بمعناه الذي يعنى بالتركيب النحوي للجملة وجعل إلى جانبه الأسلوب الذي يتناول نظم المعنى وتأليفه.

كما أطلع حازم على الشريعة الأرسطية عبر تلخيصات الفلاسفة العرب وشروحاتهم، فأراد أن يؤسس للشعرية العربية نزولا عند رغبة أستاذه ابن سينا.

قسم أدبي تمثل في النظم عند حازم وما قسمان علميان أولهما في النحو وثانيهما في البلاغة والنقد.

وذكر السيوطي أن حازما صنف سراج البلغاء في البلاغة¹ كتابا، في القوافي قصيدة، في النحو حرف الميم.²

وأكثر المؤلفات التي اشتهر بها، كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء وأشار "حازم" في كتابه إلى مختلف أنواع الأقاويل المنطقية من برهانية تهدف لإيقاع اليقين وجدلية تعمل على

¹-محمد الحسن ابن الخوجة، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار العربية للكتاب تونس فيفري

إيقاع، وفسطية تؤدي إلى إيقاع المغالطة وخطابية تسعى لإيقاع الإقناع وشعرية تقوم على التخييل.¹

لقد وقف حازم القرطاجني على مجمل الآراء النقدية السابقة حول تأثير الشعر في السامع أو المتلقي سواء كانت تلك الآتية من الإطار العربي الخاص أو تلك المبنية على التصورات الأرسطية كما جلاها الفارابي وابن سينا.²

وقد أعجب الكثير من النقاد والدارسين من القدماء ومحدثين بمنهج حازم القرطاجني في مناهجه وكان من أبرز القدماء ابن خلدون.³

وإن من أكثر العناصر التي تشوق القارئ المنهاج تركيزه الشديد على البحث في تأثير الشعر في التفوسس بل إن العبارات التي تربط بين الشعر ومكوناته من جانب و تأثير في السامع والمتلقي من جانب آخر هو الأكثر دروانا في لغة القرطاجني.⁴

إن سر التميز القرطاجني عن غيره من المنظرين العرب يمكن في إنتاجه منهاجا مغايرا وصعبا في الوقت نفسه الارتباط بالفلسفة والمنطق وصعوبة هذا الطريق الذي اختاره إضافة إلى توغله فيه هو الذي مكنه من التفرد وتحقيق النجاح الذي عرفته نظرية الأدب على يديه.⁵

¹-نبيلة سكاى، التخييل والقول بين حازم القرطاجني وجرار حبيبية، مذكرة الماجستير لكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة

تيزي وز، مولود معمر ص 12

² -المرجع نفسه ص 12

بن عيسى بظاهر، نظرية الأسلوب عند حازم القرطاجني، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 80 ص 58 ³

نكر السيوطي الكتاب باسمالبلغاء اختصارا وقد ذكر باسم المنهاج بأصل التسمية المعروفة (مهاج البلغاء وسراج الأدباء)

⁴-ما ذكره السبكي في كتابه عروس الأفراح، أنظر تحقيق الحبيب بن الخوجة ص 91

⁵ -الإمام السيوطي، بغية الوعاة ص 491

فكتاب منهاج البلغاء احتل مكانة خاصة بين الكتب المشهورة يمكن أن ننزلها منزلة الأصول من الفروع أو منزلة فلسفة العلم من العلم.¹

واهتم حازم كتابه المناهج بالمتلقي وضرورة مراعاة أحواله ومقاماته المختلفة كما أنه حدد وظيفة الشعر من خلال التأثير في المتلقي وحمله على الاقتناع.²

وبحثنا يدور حول النقد الأدبي هو أساس في عملية التلقي.

¹-نبيلة سكاوي، التخيل والقول بين حازم القرطاجني وجرار حبنية ص 83

²-بن عيسى بطاهر، نظرية الأسلوب ص 94

1- سياق التواصل بين العرب واليونان:

إن الإبحار في الموضوع (نظرية المحاكاة في الشعر عند حازم القرطاجني) يوجب الإحاطة بالثقافة اليونانية والعربية مرورا بالثقافة السريانية، لأن المحاكاة في الأصل مصطلح يوناني انتقل إلى التراث العربي عن طريق الترجمة لكتاب "فن الشعر" لأرسطو طاليس بفضل فلاسفة إسلاميين عرب نذكر منهم على سبيل المثال الفارابي، ابن سينا وابن رشد. ومما شك فيه أن هؤلاء الفلاسفة تأثروا من ثمة بالتراث اليوناني ولاسيما الشعري منه، والمنتبع لتاريخ النقد العربي وعلاقته بالتراث اليوناني ليلمس بشيء من الوضوح هذا التأثير سواء عند الفلاسفة المذكورين أعلاه أم عند حازم القرطاجني فيما بعد:

فكيف تم الاتصال الثقافي بين العرب واليونان؟ وإلى أي مدى أثر في النقد العربي؟ لقد كان أمام العرب للاتصال باليونان نوعان من الطرق، أحدهما رسمي ويتمثل هو الآخر في اتجاهين: الأول هو الفتح الإسلامي، وذلك أن تغلغل العرب المسلمين في مناطق جديدة جعل اتصالهم باليونان مباشرا إما عن طريق المدارس التي كانت تعكف على تدريس الأفكار و المعارف العلمية أو عن طريق أوليائهم في تلك المناطق (السريان) ومن ناحية أخرى عن طريق الفلاسفة المسلمين أنفسهم بما كان لبعضهم من معرفة بلغة القوم. وأما الثاني فلم يكن مباشرا ولا رسميا الأمر الذي يؤهله إلى أن يكون شديد التأثير في نظر بعض العلماء- وهو نوع يتمثل في المحاورات الشفوية¹ التي قامت بين العرب والسريان.

ولا شك في أن منطق أرسطو والخطابة من أجزائه كان أكثر نفوذا إلى البلاغة العربية- ارتبط بها منذ نشأتها وسايرها حتى وصلت القمة وفي ثناياها بحوث منطقية متنوعة في الألفاظ والقضايا والأقيسة لأنها كانت تعتبر ضرورية للبحث البياني ضرورة الأبحاث اللغوية والنحوية ومتممة لعلم المعاني الذي يقوم على الحد والاستدلال.²

¹-الدكتور عبد الله صفوت الخطيب، نظرية حازم النقدية والجمالية ص 6-بتصرف-

²-المرجع نفسه ص 8

مضمون هذا القول أن الاتصال الثقافي بين العرب واليونان بصفة عامة وبين العرب وأرسطو بصفة خاصة كان أمراً موثقاً منه باعتبار أرسطو أبرز ما في هذا التراث، إلا أن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ماذا استفاد النقاد العرب من احتكاكهم بالتراث الأرسطي؟ وهذا السؤال كان مثار الجدل بين الكثير من الدارسين حيث يفهم من دراساتهم النقدية أنها تشهد بعجز النقاد العرب عن متابعة المفاهيم النقدية لدى أرسطو والإفادة منها، وكان تحليل ذلك عند بعضهم بسبب القدر المحدود الذي أتيح للعرب للإطلاع عليه.¹

ومن جهة أخرى يرجع إلى أرسطو نفسه وطبيعة تراثه لأن كتابه في الشعر لم يكن المصدر الوحيد في آرائه الفنية والنقدية - حسب الدراسات - بل شاركه فيها بعض كتبه المنطقية الأخرى فضلاً على أنه لا يكاد يكون المسؤول عن هذا الكتاب بصفة خاصة، وربما كتاب الخطابة أيضاً مسؤوليته الدقيقة عن بقية كتبه، سواء من حيث ترتيبها ضمن كتب المنطق أو من حيث أسلوبها ومنهجيتها في مناقشة القضايا النقدية.

وعلى الرغم من هذا يجب أن نقر بأن الكتاب له آثار واضحة في التاريخ النقدي عند العرب، أما عن الموقف العام للتراث العربي من التراث الأرسطي فهو ما يتجادل فيه الباحثون ووصلوا فيه إلى نتيجة مؤداها أن العقل العربي كان حذراً في احتكاكه بالتراث الأرسطي. ولكي نجسد ملامح التأثيرات اليونانية في النقد العربي يجب علينا أن نوجه عنايتنا إلى شراح أرسطو ممن اهتموا بالعلوم الفلسفية عند المسلمين وهم:

أ- الفارابي 339هـ:

الرجل له منهجه الخاص في فهم التراث اليوناني وهو حرصه على أن يقرأ هذا التراث ككل متكامل حتى يستطيع أن يفهمه، ومن أجل ذلك « تجمعت في الرجل خصائص كثيرة ساعدته على أن يكون أفضل موصل - في عصره - لأفكار أرسطو عن طبيعة الفن الشعري، منها أن الرجل لم يقنع - فيما يبدو - بترجمة "متى بن يونس الفنائي" بل حاول أن يستعين

¹ -الدكتور إحسان عباس، ملامح يونانية في الأدب العربي ص 23-24 -بتصرف-

على فهم أرسطو بترجمات أخرى لا نعرف عنها شيئاً إلا ما أشار هو إليه في رسالته عن قوانين صناعة الشعراء¹.

وربما كانت هذه الخاصة هي ما يميّز القلة التي استطاعت أن تفهم عن أرسطو وتفيد منه، والفارابي حريصاً على ألا يزيد شيئاً عما فعله بل أكثر من ذلك فهو يعرض باختصار لأهم هذه القوانين، فمنهجه كان التلخيص الدقيق وليس أخذ التراث اليوناني بحذافيره، وكان ما فعله الفارابي بمثابة التمهيد لما جاء به حازم في القرن السابع الهجري.

أ- ابن سينا 428هـ:

فاقت شهرته الفارابي في اتصاله بالتراث الأرسطي، ويبدو ذلك في موسوعته الشفاء، ثم إنه في القرن الخامس الهجري قد اتسعت أمامه طرق الثقافة الأرسطية، ذلك أنه لم يكن أول المهتمين بهذا التراث بل سبقه إلى ذلك كما نعرف الكندي والفارابي، وكان طبيعياً في مثل ظروفه أن يلجأ إلى أسلافه يلتمس عندهم ما قد يخفى عليه. إذن يمكننا أن نقول بأن ابن سينا قد استخدم الطرق المألوفة إلى الثقافة اليونانية وليس عنده من طرق جديدة سوى اعتماده على أسلافه من شراح أرسطو « ولا يبدو فيما لدينا من كتاباته أية قرينة على أنه عرف لأرسطو مادة غير التي كانت معروفة على وجه العموم للمؤلفين السريان والعرب »².

اعتمد ابن سينا منهج التلخيص، التفسير، التوضيح والشرح مع الاطلاع على كافة المصادر المتاحة، فهو لم يكن يترجم فقط، وهذه هي قيمته في الاتصال بين العرب واليونان. وليس أدلّ على منهجه من قوله: « ولما افتتحت هذا الكتاب ابتدأت بالمنطق وتحرت أن أحاذي به ترتيب صاحب المنطق، وأوردت في ذلك من الأسرار واللطائف ما تخلو عنه الكتب الموجودة، ثم تلوته بالعلم الطبيعي فلم يتفق لي في أكثر الأشياء محاذاة

¹-الفارابي: مقالة في قوانين صناعة الشعراء -ملحق كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدوي، النهضة المصرية 1953 ص 158

²-الدكتور عبد الله صفوت الخطيب، نظرية حازم النقدية والجمالية ص 17

التصنيف المؤتم به في هذه الصناعة وتذاكيره¹. وما أورده ابن سينا من أسرار ولطائف في قسم المنطق وعدم المحاذاة لأرسطو في العلم الطبيعي هي أشياء تتميز بالنتاج الفلسفي الإسلامي والعربي الذي لم تستطع الثقافة الجديدة أن تُذيبه، فيها فكأنه بهذا المنهج بمثابة تمهيد حسن جدا لما تلاه من تمييز نقدي كامل عند حازم القرطاجني يفيد من المنهج لكنه لا يلتزم بتقليده بل يرسم له منطلقا خاصا.

فإذا انتقلنا إلى الأندلس لنعرف موقفه من علوم الفلسفة فإن أول ما يواجهنا هو محولة بعض الدارسين تحديد تاريخ معين لنشأة الفلسفة هناك، ونحن نرى أن الأندلس كان شأنه في ذلك شأن كل العالم الإسلامي، لا نستطيع تحديد موعدا لنقول فيه، إنه إشارة البدء في معرفة الفلسفة. ولكننا نقول إن الأندلس عرف الفلسفة وإن تعرضت لمقاومة رجال الدين بدافع الحذر فانتكست، ولكن هل استطاعت هذه المعارضات أن توقف زحف الفكر الفلسفي؟ كل ما يمكن قوله أنها أخرت ازدهارها شيئا ما، وربما كان تاريخ تحديد النشأة صحيحا إذا انصرف الفهم إلى ازدهار الفلسفة وليس خلقها خلقا جديدا. والأمر الذي لا جدال فيه أن الفلسفة قد أخذت في الازدهار والرقي في الأندلس منذ أيام الحكم المستنصر. وإن لم يكن يعني هذا أنها لم تُعرف في الأندلس من قبله.

ضف إلى ذلك أن الأندلس كان مؤهلا بحكم المكان الجغرافي والمكانة الحضارية لأن يتصل بالتراث الأرسطي واليوناني في الفلسفة، وأن يعرف الكثير عنها فذكر أرسطو وذكر كتبه ومؤلفاته.

ج- ابن رشد 595 هـ:

أما هذا فقد كانت سبيله إلى معرفة التراث اليوناني واحدة فقط، وهي الشروح العربية على كتب أرسطو سواء في المشرق أو في الأندلس، أما المحاورات الشفوية مع حملة التراث

¹-الدكتور عبد الله صفوت الخطيب، نظرية حازم النقديّة والجمالية ص 18

اليوناني فقد كان ولي زمانها، وأما الاطلاع على الأصول اليونانية فهناك من ينفي معرفته باللغة اليونانية كما يقول الدكتور طه حسين في هذا المضمرة: « ولن أتعرض في هذا المقام لما كتب ابن رشد عنهما (يعني كتابي الشعر والخطابة) فذلك غير خاف على القارئ من جهة، ثم هو من جهة أخرى لا يتفق بوجه من الوجوه مع معاني أرسطو، ذلك أن ابن رشد لم يفهم هذه المعاني فحرفها جهد استطاعته ».¹

ابن رشد في تلخيصه كتاب الشعر كما يقول الأستاذ خلف الله: « كان أمره عجا، فلا هو ترجم (مثل ما فعل متى) ولا هو لخص في شيء من محاولة الفهم الموضوعي الصحيح (مثل ما فعل ابن سينا) ولا هو ألف مستقلا في النقد مثل ما ألف غيره من العلماء العربية متأثرين أحيانا بنظريات أرسطو كما فعل عبد القاهر الجرجاني ».²

يرى بعض الباحثين أن « أحدا من الفلاسفة لم يبلغ مبلغ ابن رشد في ذبوع الصيت ولم يكن لإعجابه بأرسطو حد، ولكن لا يفهم من هذا أن فلسفته إنما هي نسخة من الفلسفة الأرسطية ».³ وهذه الميزة ليست لابن رشد فقط بل جلّ فلاسفة الإسلام كانوا يتميزون من أرسطو رغم كونهم شراحا له، وقد يحاول ابن رشد أن يحسم الأمر في شرحه لكتاب أرسطو في الشعر ولكن ما ينقصه هو عدم فهمه لأنواع الشعر التي جاء بها أرسطو في الكتاب إلا على أنها مديح وهجاء، وربما كان ذلك نتيجة اعتماده على ترجمة متى بن يونس وهي مظلة - في نظر هؤلاء الباحثين - ولكن ألم يكن هذا - حسب رأيهم - من الأدعى له أن يبرز فهمه الصحيح؟ وأن يحاول الوصول إلى ترجمات أدق؟ فهل فعل؟

¹ -الدكتور سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 53

² -الدكتور سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 53

³ -عباس محمود العاد، ابن رشد، دار المعارف سلسلة توابع الفكر العربي عدد 1 ص 31

لقد حاول ابن رشد أن يتحاشى ما وقع فيه أسلافه من أخطاء في التراث اليوناني لكنه وقع، فبعد "أن أضلته ترجمة متى بن يونس للتراجيديا بالمديح والكوميديا بالهزاء، نظر إلى العقدة والحل في المأساة عند أرسطو، ونقلها إلى بناء القصيدة العربية".¹

ولكن لا يجب أن ننسى لابن رشد أنه حاول قبل حازم القرطاجني الربط بين الشعر العربي وكتاب الشعر الأرسطي، وربما كانت تلك المحاولة هي الخيط الذي أمسك به حازم فيما بعد حتى وصل إلى كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، وهذا ما يؤكد أن الرجل كانت لديه إمكانات الفهم الجيد والصحيح وإن أعوزته ترجمة المصطلحات ترجمة صحيحة لجهله باللغة اليونانية.

أما ما يدلّ على أن فهم ابن رشد هو الأقرب إلى الصواب فهو منهجه الذب اتباع في تلخيص أرسطو. هذا التلخيص الذي لا نستطيع في سهوله أن نربط بينه وبين النص الأصلي وإنما نرى أنه تأليف جديد للموضوع نفسه ولقد كانت تلك خطأ قصد عليها حين فرّق بين ثلاثة أنواع من الشروح: الكبرى، الوسطى والصغرى. فهو من ناحية كان يتجاوز التفصيلات التي كان يغرق فيها أرسطو خاصة إذا كانت تتعلق بالآداب اليونانية دون غيرها ويتّجه إلى القوانين الكلية التي يمكن أن يفيد منها الأدب العربي، ومن ناحية أخرى يتجه إلى هدفه مباشرة حين يسعى إلى تطبيق قواعد النقد الأرسطي على الشعر العربي.

(د) أثر التواصل في المشرق:

وقد كانت خبرته بتراث اليونان قديمة. « فنقلت من الشرق كتب العلوم الفلسفية والمترجمة في الرياضيات والطب والطبيعة. ثم رسائل إخوان الصفاء، التي كانت أكبر ناشر للثقافة الفلسفية المبسطة سواء في الشرق أو الغرب: ووردت كذلك كتب الفارابي وابن سينا وأصبحت قرطبة تنافس بغداد كمركز عالمي للثقافة ». ² ولا جدال في أن يكون المشرق

¹ -يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، دار الثقافة -القاهرة 1979 ص 298

² -الدكتور عبد الله صفوت الخطيب، نظرية حازم النقدية والجمالية ص 22

مصدرا طبيعيا للأندلس في مثل هذه الحال. وإن كان هذا يلقي على عاتق فلاسفة الأندلس مهمة خطيرة: وذلك أنهم تلقوا التراث اليوناني فينقونه مما خالطه من عناصر غريبة عنه وقد كان هذا على يد ابن رشد، ويحسنون الإفادة منه بدرجة أكبر مما تم في المشرق، وقد كان هذا على يد حازم القرطاجني.

هـ) أثر التواصل في المعرب (صقلية):

تعد هذه الأخرى طريقا من طرق الثقافة اليونانية إلى الأندلس في نظر الباحثين وحثتهم في ذلك وجود بعض حكماء اليونان وممارستهم للتعليم ومعرفة العرب لهم، كما اعتبرت من طرق الثقافة إلى الأندلس قبل دخول الإسلام، والصلة بين صقلية والأندلس وثيقة يؤكدتها « سيطرة العرب عليها بعد الإسلام أكثر من قرنين »¹.

واختلاف طرق الثقافة اليونانية إلى الأندلس بين تراث عربي مشرقى وتراثي يوناني بحثت من موروثات المنطقة قبل الإسلام. كل هذا هياً الأندلس للقيام بدور إيجابي في خدمة التراث العربي الفلسفي وتنقيحه، بل أكثر من ذلك أصبح الأندلس الوسيط الذي ربط التراث اليوناني في صورته العربية القديمة بالحضارة الأوروبية الحديثة.

من الحق إذن أن نقول بأن الأندلس قد كان في تاريخ الحضارة العربية صاحب الفضل في بلوغ الغاية في جميع الميادين « فسجل حازم في كتابه ناحية من نواحي النضج التي بلغت هذه الحضارة يمكن أن تقارن بالناحية التي سجلها ابن رشد في فلسفته وابن خلدون في بحثه الاجتماعي، وكما أن الفلسفة وعلم الاجتماع لم يتقدما خطوة بعد ابن رشد وابن خلدون كذلك لم يتقدم النقد خطوة بعد منهاج البلغاء »².

¹-محمد منصور أحمد: الشرق الأوسط في موكب الحضارة -الجزء 3- النهضة المصرية 960م ص 71- بتصرف-

²-الدكتور محمد شكري عياد، أرسطو طاليس في الشعر، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967 ص 242

وخلاصة القول حول سياق التواصل بين العرب واليونان هي أن الدوائر الفلسفية في العالم الإسلامي والعربي قد استطاعت أن تفهم التراث الأرسطي في مجمله إلا قليلا مما كانت العقيدة الإسلامية تفرض الحذر في التعامل معه كتراث لأولئك الوثنيين. فضلا عن ذلك فقد عرف العرب كيف يفيدون من هذا التراث في تطوير الفكر العربي والارتقاء به قدر المستطاع مرحلة تلو الأخرى حتى ساهموا في تطوير وراثي الحضارة اليونانية من الأوروبيين وإن كانت عصبية هؤلاء تدفعهم إلى إنكار ذلك والتهوين من دور العرب فيه والقول بأن ما « تلقته أوربا كان العلم الهيليني في صورة عربية موسّعة بعض التوسع، ثم النصوص الأصلية القديمة في ترجمة عربية مثل كتب أرسطو الحقيقية لا كتبه المغيرة تحت تأثير أفلاطوني جديد، ولم تكن العناية بها بفضل العرب إلا أن يحافظوا عليها وينشروها كما مجدوها من قبل»¹.

¹-الدكتور عبد الله ص فوت الخطيب، نظرية حازم النقدية والجمالية ص 28

2- حازم القرطاجني (تكوينه وثقافته):

أ- تكوينه:

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجني¹، من مواليد 608 هـ بقرطاجنة الأندلس التي ذاعت نسبته إليها فما عاد يعرف فيما بعد إلا بالقرطاجني.²

وقد بدأ حازم تكوينه الثقافي بالأندلس، وتتلذذ على أبي علي الشلوبين، ولما شبّ تلقى عن أبيه نصيباً من الفقه والأدب، وحفظ القرآن الكريم، وتردد على مرسية ليأخذ عن علمائها حيث بدأت تتضح معالم شخصيته العلمية وتكوينه الثقافي، فيلقى الفقه على مذهب الإمامين مالك والشافعي، والنحو على مذهب البصريين واستزاد من علوم العربية وأدبائها وأخبارها. «ولم تقف به همة البحث والدرس عند هذا الحد بل كان طموحه يدفع به إلى الاستزادة من ذلك والأخذ عن الأعلام المعروفين المقيمين بجنوبي الجزيرة. ودفعه توقه الشديد للذهاب إلى غرناطة وإشبيلية فجمع من الأساليب والإيجارات ما جمع واتصل آخر الأمر بشيخه الجليل عمدة الحديث والعربية الذي عرف بالانتساب إليه أبو علي الشلوبين»³.

وتتلذذ على يد أبو علي الشلوبين له دلالاته في تحديد ثقافته ومنهجه العلمي لما كان للشلوبين من أثر في معرفة طبيعة استعداده العقلي وتوجيهه إلى إشباع هذا الاستعداد «فلم يجعل منه راوية كابن الأبار أو لغويا نحوياً فقط فيقتصر على تدريس كتاب سيبويه له بل حمله على الأخذ بالعلوم الحكمية الهيلينية ووجهه إلى دراسة المنطق والخطابة والشعر»⁴

¹ -نظرية حازم النقدية والجمالية ص 47

² -ينظر حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 14

³ -المرجع نفسه ص 15-16

⁴ - ينظر نظرية حازم النقدية والجمالية ص 48

ومن هنا فإن السيوطي يصف منهجه العلمي فيقول: « ويضرب بسهم في العقليات والدراية أغلب عليه من الرواية »¹.

وهذا القول يظهر العمق الذي يمثله حازم في الاطلاع على العلوم الحكيمة أو الفلسفية. ومن الأشياء ذات الأثر في نسبة التكوين الثقافي لحازم القرطاجني هجرته من الأندلس إلى المغرب ثم إلى تونس، والحقيقة أن بلاط الموحدين في عهد الرشيد - بالرغم من اشتعال الحروب والفتن - كان زاخرا بالعلماء المهاجرين من الأندلس، يذكر منهم الدكتور ابن الخوجة² فقهاء ومحدثين كالتازي وابن الكماد، ومؤرخين كابن فرعون وابن عبادة الفلعي، وخطباء وأدباء كالمزدغي وشعراء كنجم الدين الحسني وابن القطان والفزاري وابن الحناط والعشبي وابن زغبوش والظهري وابن غالب وابن موسى والجباني وغيرهم.

وأما في تونس فنجد من العلماء المهاجرين ابن الأبار وابن الغماز والخلاسي وابن ديسم وابن برطلة الأودي والقميحي وابن سيد الناس وابن عصفور وابن رقية وأبو حيان وأبو سعيد والغرناطي وابن الحاج وغيرهم كثير. ولا نعرف من تلامذة حازم على وجه الخصوص بسبب قلة المصادر³ إلا أبا حيان الأندلسي وابن سعيد وابن رشيد القفصي وابن القويح.

وهكذا عاش حازم حياة حافلة بالعلم في تونس امتدت ما يقرب من إحدى وخمسين سنة حتى توفي رحمه الله بها في الرابع والعشرين من رمضان سنة 684 هـ الموافق للثالث والعشرين من نوفمبر سنة 1285 هـ للميلاد⁴ وعاصر في هذه الفترة طائفة كبيرة من العلماء المهاجرين من شتى جهات الأندلس وبقاع كثيرة من العالم الإسلامي، فاحتك بها

¹ -المرجع نفسه ص 48

²-الدكتور محمد الحبيب ن الخوجة، مقدمة منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، بتحقيقه، دار الكتب الشرقية،

تونس 1966 ص 57-58 و 61-65

³-حازم ونظرية المحاكاة والتخييل ص 20-بتصرف-

⁴- المرجع نفسه ص 20-21

وصنف فيها أشهر كتبه وأهمها وهو "منهاج البغاء وسراج الأدياء" ونظم فيها جملة من شعره وتلمذ له فيها عددا كبيرا ممن صاروا شيوخا في العلم بعده.

ب- ثقافته:

أما ثقافته فهي واسعة ارتأيت أن أبرزها في ثلاثة أوجه رئيسية هي: حازم الشاعر، حازم النحوي وحازم البلاغي الناقد.

ب-1- حازم الشاعر:

"كان حازما فنانا شاعرا، وكانت شاعريته موضع تقدير معاصريه ومن جاءوا بعده، فمن بين معاصريه أبو حيان الذي يقول عنه (أوحد زمانه في النظم والنثر)، وابن رُشيد الذي يعتبره (حبر البغاء وبحر الأدياء) وأنه (نو اختيارات فائقة واختراعات رائقة) وابن سعيد الذي يرى أنه (شاعر مُجيد وحسيب مَجيد)، وشعره يطوي الأقطار، وذكره منشور، وهو في نظمه طويل النفس، منير القبس، مقتدر على حوك الكلام، مديد الباع في ميدان النظام لا يخلو من الألفاظ المبتدعة، والمعاني المولودة المخترعة وممن جاءوا بعده العماد الحنبلي الذي يقول عنه: « كان إماما بالغا ريان من الأدب » وابن الطيب في حاشيته على الاقتراح يعتبره (الأديب البارح المتفنن) وهو في رأي الدكتور مهدي علام (شاعر عظيم من شعراء الأندلس، أما مقصورته فقد نالت حظا عظيما من الاهتمام والإعجاب والدراسة، فقد رحها التجاني برسالة سماها (أداء اللازم نحو مقصورة حازم) ويذكر حاجي خليفة أن للمقصورة شرحا وضعه الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الحسني السبتي المتوفى سنة 760 هـ). أما شرح الشريف الغرناطي المسمى (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة) الذي يصفه الأمير في حاشيته على المغنى لابن هشام بقوله هو (شرح جليل) فقد عنى فيه الغرناطي بمسائل البيان والبديع والنحو واللغة، كما عنى فيه بالمقارنة

بين حازم التي لها نظير في الشعر العربي، أما في الحديث فقد اعتنى بها الدكتور مهدي علام ووصف حازم بأنه أبرع شعراء المقاصير وأطولهم نفساً وأكثرهم تصريفاً للقول.¹ والمتتبع لشعر حازم القرطاجني ليلمس بشيء من الوضوح التناص الكثير فيه حيث يجده كثير الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم وأبيات الشعر العربي والأمثال العربية المأثورة، الأمر الذي يدل على عمق ثقافته الأدبية واللغوية، فمن تضمينه للقرآن الكريم قوله في المقصورة²:

لا تظلمي إنسان عيني في الهوى « فليس للإنسان إلا ما سعى »

ومن أبرز الأمثلة على هذه الميزة، اخترت مدحته النبوية التي ضمّنها أعجاز معلقة امرئ القيس، ومن أبياتها³:

تلا هدى قل قال للكفر نوره « ألا أيها الليل الطويل ألا انجل »

نبي سوراً ما قولها بمعارض « إذا هي نصته ولا بمعطل »

لقد نزلت في الأرض ملة هدية « تزول اليماني ذي العياب المنقل »

ومن أمثلة تضميناته الشعرية بشيء من التصرف قوله مضمناً قولاً لعنترة⁴:

وتغادر الشعراء تنشد بعدها « كم غادر الشعراء من متردم »

وقوله مادحا المستنصر ومضمناً قولاً للنابغة⁵:

فلا أنت بحر والملوك جداول « ولا أنت شمس والملوك كواكب »

هذا ويتسم شعر حازم بسمتين بارزتين:

- أولهما احتفاؤه الشديد بالصياغة وبحشد ألوان البلاغة من بيان وبديع، فمقصورته

تزخر بالمحسنات البديعية ومن أجل ذلك اخترت منها هذه الأبيات¹:

¹-حازم ونظرية المحاكاة والتخييل ص 24-25

²-حازم القرطاجني، المقصورة، تحقيق الدكتور محمد مهدي علام، حولية ادت عين الشمس، 1953-1954 ص 49

³حازم ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 34

⁴-حازم القرطاجني، الديوان، تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت-لبنان

⁵-المرجع نفسه ص 15

لم يفتقد صاد بها وصادح « إرواء إحسان ولا حسن روا »
مرتاحة رياضها، ممتاحة « حياضها، من خير كف تجتدي »
والثانية هي انعكاس ثقافته المتنوعة في شعره، مثلا في قوله²:

كأن ضوء الصبح شهب غارة تقاذف الحضر بهن وارتمى
نلمس فيه ثقافة فلكية وقوله³:

ما استبدل القلب فلا تستبدلي منه ولا ترضى بما لا يرضى.
ولا تتبعي خلة بخلة فإن بيع المثل بالمثل ربا.

نلمس فيه ثقافة فقهية، وفي بيت آخر نراه يورد مصطلحات من علم الحديث على سبيل التورية فيقول⁴:

فقد أخذت صحيح الملك عن سند عال وأحكمته ضبطا وإتقانا

"وفي هذه القصيدة المقصورة يبلغ الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجني الذروة في الإبداع والبراعة النظمية. وقد جعل من مقصورته ألواحا جميلة متجانسة، عرض فيها لشتى الأغراض والفنون من مدح وغزل وحكمة ومثل، ووصف في معالم ومجاهل، منازل ومناهل، ورياض وأزهار، وحياض وأنهار، وأزمنة وأعصار، ومدن وأمصار، وجواز في قفار، وجوار في بحار، وصيد وقنص، ووعض وقصص، ومواقف تعجّب واعتبار، ومواطن تبسم واستعبار، إلى غير ذلك من ضروب المقاصد⁵"

ب-2- حازم النحوي:

كان النحو من أهم العلوم التي لا بد أن يتزوّد بها كل مشتغل بالعلم، ومن ثمّة أخذ حازم قسطا منه في ذلك العصر على مذهب البصريين، وصار معدودا من النحويين الذين

¹ -المقصورة 30-31

² -المقصورة ص 36

³ -المرجع نفسه ص 3-4

⁴ -الديوان ص 119

⁵ الدكتور محمّد الحبيد بن الخوجة، مقدمة منهاج البلغاء بتحقيقه، دار الكتب الشرقية -تونس 1966 ص 82

يشار إليهم كتب في الطبقات والمراجع النحوية كبغية الوعاة للسيوطي¹ ومغنى اللبيب² لابن هشام، وحاشية الشمني³ وشرح الدمامي⁴. وقد جعله أبو حيان أوحده زمانه في النحو واللغة⁵. أما عن آثاره النحوية فلم يبق منها إلا القليل، يقول الدكتور سعد مصلوح في هذا الشأن « والأثر النحوي الوحيد الباقي لنا هو منظومته النحوية التي صاغ فيها قواعد النحو في شعر تعليمي »⁶.

وقد ذكر السيوطي هذه القصيدة من بين آثاره فقال: « وقصيدة في النحو على حرف الميم ذكر منها ابن هشام أبياتا في المسألة الزنبورية وقد ذكرناها في الطبقات الكبرى مع أبيات أخرى »⁷.

وقد صاغ حازم في هذه المنظومة القواعد الخاصة بحد الكلام والنحو، وتقسيم الكلام، والمُعرب والمبني، وأنواع العوامل حتى انتهى إلى باب الابتداء وميَّزها بكثرة إيراد الأمثلة للقواعد نذكر منها في هذا الباب ما يلي⁸:

أ - ناصبات الأسماء:

فكن لمعرفة الأشياء ملتتهما	وناصب الاسم فعل أو مشابهة
لنصب مفعوله مثل (انتضى ورمى)	والفعل منه معدّي جاز فاعله
كمثل (سال) إذا مثلته و(همى)	ومنه غير معدّي في كلامهم

¹-حازم ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 42

²-المرجع نفسه ص 42

³-المرجع نفسه ص 42

⁴-المرجع نفسه ص 42

⁵-المرجع نفسه ص 42

⁶-المرجع نفسه ص 43

⁷-حازم ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص 43

⁸-الديوان ص 126

فدو التعدي إذا أحببت قسمته
لناصب واحد أو ضعف ذلك أو
فالناصبات لمفعول على حدة
والناصبات بمفعولين في نسق
وجدته في لسان العرب منقسما
ثلاثة: بعضها بعضا قد التزما
كثيرة كوشى، أو خاط أو رقما
كمثل ظن وأعطى، بابها انقسما

ب- رافعات الأسماء¹:

وروافع اللفظ فعل أو مشابهه
من اسم فعل أو مفعول أو مثل
ومن صفات تساويها إذا رفعت
و مصدر، واسم فعل بين مرتجل
ومن الحروف له أضحت مشابهة
من كل رافع أضحى له خبرا
فإن أن لها أخت مذ ارتضعا
و عد لكن أختا، أو كأن لها
وما، ولات، و لا للاسم رافعة
وما غدا معه الحكم مستهما
في كل ما علمت ليست بدونهما
حكما، وإن لم تكن في النصب مثلها
وذو اشتقاق، غدا أو ينفاس أو عقا
كمثل إن، وما في شكلها نظما
و ناصب اسم إذا لم يكف بما
ثدي التشبه بالأفعال ما فطما
وليث، ثم لعل المرتجى بهما
وما يزال اسم لات الدهر مكتما

ج- تقسيم الكلام²:

وكل قول إذا قسمته انقسما
فالاسم لفظ يدل السامعين له
اسم وفعل وحرف ثالث لهما
على حقيقة معنى وقته انبهما

¹ -المرجع نفسه ص 126

² -الديوان ص 125

والفعل لفظ يدل السامعين له على حقيقة معنى وقته انهما

والحرف لفظ يدل السامعين على معنى، ولكنه في غيره فهما

د- اللفظ المعرب والمبني¹:

واللفظ نوعان مما أعربوا وبنوا فاحكم على كل لفظ بالذي حكما

فالمعرب اسم وفعل ذو مضارعة والمبني: الحرف والفعل الذي انصرما

والأمر من غير لام قد تُخولف هل أضحي على الوقف مبنيا أو انجزما؟

تغير اللفظ عن تغيير عامله إعرابه، وهو في الأطراف قد علما

فبالاسم متفق لفظا ومختلف معنى، لذلك بالإعراب قد وسما

والفعل مختلف لفظا وأزمنة فلن يرم فيه إعرابا ولا جثما

لكنهم أسهموا الفعل المضارع في ما اختصا بالاسم من إعرابه سهما

فبالاسم بالخفض مختص ويدخله رفع ونصب ومنه الجزم قد عدما

والفعل بالجزم مختص ويدخله رفع ونصب كما فالاسم قد رسما

هـ- أصناف العوامل²:

والقول في حصر أصناف العوامل خذ فيه وخذ منه في بحر قد التظما

وعامل الرفع قدّمه ومنه إلى عوامل النصب والخض أنقل القدما

ورافع الاسم إن حققت أضره لمعنوي ولفظي قد انقسما

فالمعنوي ابتداء لا وجود له إلا إذا أصبح اللفظي منعدما

¹-المرجع نفسه ص 125

²-المرجع نفسه ص 125-126

ب-3- حازم البلاغي الناقد:

إن الكلام على ثقافة حازم البلاغية يقتضي لا محالة الكلام على مؤلفه في هذا الجنس الأدبي "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي يُعزى إليه كل الفضل في التعريف حازم كبلاغي وناقد، وهو كتاب له وزنه الثقيل في النقد العربي القديم، وق عرف الدارسون قدره حتى قال عنه الدكتور بدوي إنه في منهاج « لأول مرة نجد في كتاب لأحد علماء البلاغة العربية الخالص - أعني غير الفلاسفة - عرضاً وإفادة من نظريات أرسطو في البلاغة والشعر، واستقصاء بالغاً لها باهتمام وحسن فهم ورغبة في التطبيق على البلاغة العربية والشعر العربي¹ » كما يرى الدكتور ابن الخوجة أن هذا الكتاب حسم الخلاف حول قضية تأثر النقد العربي بأرسطو، ويرى الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور « أنه كتاب في أصول البلاغة أو فلسفة البلاغة أو روح الصناعة كما اختار هو - يعني حازمًا - ذلك بنفسه² ». كما أنه تأصيل يخرج به (ما وراء البلاغة) من البلاغة كما يخرج (ما وراء الطبيعة³) من الطبيعة. وهذا ما يدلنا على ثقافة حازم ذات الطابع العلمي ومنهجها في التفكير، الأمر الذي يزيد من أهمية الكتاب الموضوعية أهمية منهجية خاصة فقد سلك صاحبه مسلكاً جديداً في البحث البلاغي تجاوز به المسائل وتفصيلاتها الجزئية والفرعية ليتناول كليات البلاغة وروح الصناعة وهذا ما صرح بنفسه في مؤلفه هذا فقال: « وقد سلكت من التكلم في جميع ذلك مسلكاً لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعر سبيل التوصل إليه، هذا على أنه روح الصناعة وعمدة البلاغة ... فإنني رأيت الناس لم يتكلموا إلا في بعض ظواهر ما تشتمل عليه تلك الصناعة فتجاوزت أنا تلك الظواهر بعد التكلم في جمل مقنعة عما تعلّق بها إلى التحكم في كثير من خفايا تلك الصناعة ودقائقها⁴ ».

¹ -حازم ونظرية المحاكاة في الشعر ص 47

² -محمد الحبيب بن الخوجة، مقدمة منهاج البلغاء ص 31

³ -المرجع نفسه ص 11

⁴ -منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 18

كما عالج الكتاب قضية من أخطر قضايا الأدب ونعني بها قضية مفهوم الشعر وطبيعته، ووسائله الفنية التعبيرية، وهي القضية التي أخذت حصة الأسد من الكتاب، والمتصفح للكتاب يجد أنّ حازما ميّز بين طبيعة الشعر وطبيعة الخطابة، فالشعر قوامه التخيل ووسيلته في ذلك المحاكاة، والخطابة قوامها الإقناع ووسيلتها إلى هذا الأقيسة، ومن أجل ذلك يجد قضية المحاكاة والتخيل جوهر هذا الكتاب كما يجدها تشير إلى مصادر فكر حازم النقدي وثقافته بين علماء النقد والبلاغة العرب، أما تركيزه على هذه القضية (المحاكاة والتخيل) فهو أبرز سيمة علمية اتسم بها حازم.

وما تجدر الإشارة بذكره هو أن الذي يريد فهم الفكر النقدي الحازمي عليه أن يتجه إلى كتب الفلاسفة: الفارابي، ابن سينا وابن رشد وليس إلى كتب البلاغيين أمثال قدامة وعبد القهار وابن رشيق لأن الفكر الأرسطي سلك إلى عقلية حازم عن طريق الترجمة لفن الشعر وشروح وتلخيصات هؤلاء الفلاسفة، فتمثل حازم هذه الأعمال العلمية تمثلا علميا وأخرج للعرب ثمرة هذا التمثل في كتابه (منهاج البيغاء وسراج الأدباء).

3- النقد الجمالي (الماهية والتاريخ):

العمل الفني تصوير يحمل قيمة جمالية كثيرة، والنقد الأدبي يهتم بالبحث عن تلك القيم الجمالية، وخاصة ذلك النقد المتأثر بالثقافة الفلسفية فهذا النوع من النقد يختلف عن غيره من أنواع النقد في إعطاء الأسس وتقديم العلل التي يقوم عليها استحسان الفن. فالجمال في الفن هو جمال الكل أو الصورة الفنية، وقد يكون ذلك في إظهار التناسب والانسجام بين مكوناته الفنية المختلفة، وقد يكون في البساطة والبعد عن التعقيد والتركيب ولكنه في كلتا الحالتين لا بد له من إحداث المتعة بالمواعمة بين الشكل والمضمون وتعليل مواطن الجمال في كل عمل فني.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى السمات التي تميّز المواقف الجمالية في النقد الأدبي لنقف من خلالها على طبيعة النقد الجمالي الذي تمثّله حازم القرطاجني، ومدى أثره على الآراء النقدية التي صدرت عنه.

أ- الماهية:

أما أفلاطون فيرى الجمال انه إحدى حقائق عالم المثل « وذلك لأن الأمر - فيما يقول - كان يتعلق بالجمال الذي يتألق بين الحقائق الأخرى، ومنذ جئنا إلى هذه الأرض جعلناه موضوعاً لأوضح الحواس التي نملكها¹ » ففي ظل هذه المقولة يمكن توظيف الآراء الجمالية التي أبداهها أفلاطون في الفن والتي تتبلور في القول بالتناسب والتناغم بين أجزاء العمل الفني. فالتناسب والتناغم من شأنهما أن يحدثا التآلف بين أجزاء العمل الفني المتنافرة حيث يقول في هذا المضمار: « وكما يحدث عندما نضرب على القيثارة فلا يصح بديها أن نقول أن المؤلف مختلف أي أنه يتألف من عوامل كانت من قبل مختلفة ثم أصبحت بفضلها مؤتلفة وهي أصوات الرجال وأصوات النساء ولا يمكن أن يتآلفا صوتان ماداما مختلفين إذ يستحيل أن يوجد نوع من الاتفاق بين عناصر متنافرة مادامت متنافرة ولكن يمكن

¹-أفلاطون، فايدروس أو عن الجمال، ترجمة الدكتور أميرة حلمي مطر، دار المعارف القاهرة 1969 ط1، ص78-79

أن يقوم انسجام أو تناغم بين ما هو مختلف ومتنافر كما يحدث في النغم من مزيج من السريع والبطيء¹. «

أما قوله: « يبدأ المرء بنماذج الجمال في هذا العالم بجعلها درجات يرقى بها جاعلا غايته ذلك الجمال الأسمى المطلق من نموذج للجمال الحسي إلى نموذجين، ومن نموذجين إلى الجمال ككل، ومن الجمال الحسي إلى الخلفي، ومن الجمال الخلفي إلى جمال المعرفة ومن المعرفة بفروعها المختلفة إلى المعرفة المطلقة التي يكون موضوعها الوحيد الجمال المطلق² » فيعرف آخر الأمر ماهية الجمال المطلق فيؤكد لنا أن هذه النظرة الجمالية للفن عنده كانت موجهة لمعرفة الجمال المطلق.

أما أرسطو فيمكن « التقاط بعض الأفكار الجمالية لديه من بين ثنايا آرائه في الفن، وأول ما يلاحظه الباحث في هذا الشأن هو دوران مصطلحات (العجيب) و(اللذة) و(السرور) في فلك واحد هو فلك الجمال وإن لم يذكر مصطلح الجمال صراحة في أغلب الأحيان³ فموقفه من الجمال هو أنه يكمن في اللذة، وهذه الأخيرة في مضمون العمل الأدبي (التراجيديا أو الملحمة) تكون من خلال الإغراب أو الإتيان بالعجائب « والأمر العجيب يلذ، وبكفي لإثبات ذلك أن كل من يروي قصة يضيف إليها بعض العجائب ليسر السامعين⁴. إذن فالجمال الأرسطي هو السرور، والسرور يأتي باللذة، واللذة تأتي بالعجب، وكأن المصطلحات الثلاثة (السرور، اللذة، الجمال) ذات مدلول واحد.

ويُتضح الأمر على نحو آخر فيما يتصل بالشكل أو الصياغة اللغوية « فقد ينبغي أن نهب اللغة مظهرها غريبا فإن العجيبات إنما تكمن من البعيدات وما يحدث العجب يحدث

¹ -أفلاطون. المأدبة، ترجمة الكتور وليم الميري، دار المعارف القاهرة 1970، ص40

² -أفلاطون، المأدبة ص 70

³ -نظرية حازم النقدية والجمالية ص34

⁴ -المرجع نفسه ص34

اللذة»¹ وهذه اللذة الني يسعى إليها أرسطو تتداخل مع الفضيلة، وكان الجمال عند أرسطو (اللذة) إنما هو أشياء تتحقق بالوصول إلى الفضيلة، ويبدو هذا من خلال فلسفته للذة السماع في فن الموسيقى فهو يقول: « أليس الأولى أن تكون الموسيقى إحدى الوسائل للوصول إلى الفضيلة؟ أو ليست هي تؤثر في النفوس بأن تعودها لذة شريفة وطاهرة»² ومعنى هذا أن الجمال عند أرسطو مرتبطة بالفضيلة وذلك من خلال التأثير النبيل الذي يحدثه الفن في النفس الإنسانية.

وهذا الأثر النبيل يتوخاه الجمال في الفن شكلا ومضمونا ليبدو في غاية الوضوح عندما يقول أرسطو: "أما البحث في جمال العبارة (الشكل) أو الجمل (المضمون) فينبغي ألا يقصر على النظر فيما عمل أو قيل أشريف هو أم خسيس بل يجب أن ينظر أيضا في القائل أو الفاعل ومن قال أو فعل له ومتى ولم، وكأن يبحث مثلا: أكان هذا القول أو الفعل لكسب منفعة أكبر أو لدفع مضرة أكبر؟"³ ومن هنا فإن أسس الجمال الفني عند أرسطو تكمن في مفهومه للفن باعتباره نشاطا ذا تأثير نبيل على النفس الإنسانية من خلال ما يحدثه من تطهير، فالفن جميل -حسب رأي أرسطو- إذ أدى وظيفته وهي الوصول إلى الفضيلة أو اللذة. فإذا انتقلنا إلى التراث العربي وجدنا أن الفلاسفة العرب يبدون بعض الآراء الجمالية على نحو واضح ومتميز، فالفارابي يشير إلى التناسب في الصياغة الشعرية وقيمته الجمالية المتمثلة في صدق التوقع أو الإخطار بالبال وماله من أثر نفسي، فيقول: «وللإخطار بالبال في هذه الصناعة غناء عظيم، وذلك من مثل ما يفعله بعض الشعراء في زماننا هذا من أنهم إذا أرادوا كلمة في قافية البيت ذكروا لازما من لوازمها أو وصفا من أوصافها في أول البيت فيكون لذلك رونق عجيب»⁴.

¹ -المرجع نفسه ص34

² -المرجع نفسه ص 35

³ -المرجع نفسه ص 35

⁴ -الفارابي، مقالة في قوانين صناعة الشعراء ص 167

وهذا ما يؤهل الشعر حسب الفارابي للقيام بوظيفته بالتأثير على النفس الإنسانية ببسطها نحو ما يُراد لها « وإنما تُستعمل الأقاويل الشعرية في مخاطبة إنسان يُستنهض لفعل شيء ما باستفزازه إليه و استدراجه نحوه وذلك إما بأن يكون الإنسان المستدرج لا رؤية له تُرشده فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخييل فيقوم له التخييل مقام الرؤية، وإما أن يكون إنسانا له رؤية في الذي يلتمس منه ولا يؤمن إذا روي فيه أن يمتنع فيعالج بالأقاويل الشعرية لتسبق بالتخييل رؤيته حتى يبادر إلى ذلك الفعل ... ولذلك صارت هذه الأقاويل الشعرية دون غيرها تُجمل وتُزين وتفخّم، ويجعل لها رونق وبهاء بالأشياء التي ذكرت في علم المنطق «¹.

ومن الآراء المؤيدة للفارابي في موقفه الجمالي نجد إخوان الصفاء حيث ينصون على التناصب وقيّمته وآثاره النفسية، ويلحون على الربط بين الجمال والوظيفة في الفن، ذلك أن « الأصوات العظيمة الهائلة الغير متناسبة إذا وردت على المسامع دفعة واحدة مفاجئة أفسدت الميزاج، وأخرجت على الاعتدال وتحدثت موت الفجأة ... والأصوات المعتدلة المتزنة المتناسبة تعدّل ميزاج الأخلاق وتفرح الطباع، وتستلذ بها الأرواح، وتُصر بها النفوس»² في حين نجد ابن سينا ينبّه الأذهان إلى أمر آخر من جوانب الاتجاه الجمالي عند العرب عندما يقول: « فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين ... أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور بعينه نحو فعل وانفعال، والثاني للتعجب، فكان يشبه كل شيء ليعجب بحسن التشبيه، وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل»³ وعلى هذا الأساس فإن الموقف الجمالي في الفكر العربي الفلسفي يتميز في أنه قد يساير التفكير اليوناني أحيانا فيحدد الجمال غاية بذاتها، وقد ينفصل عنه أحيانا أخرى فيحدد الجمال في ذاته، أو بالأحرى التفكير الفلسفي عند العرب ركّز على الغاية من الجمال الفني،

¹ - الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق الدكتور عثمان أمين، الأنجلو المصرية ط3 1968 ص 84-85

² - رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار صادر، بيروت 1957 ص 195

³ - ابن سينا، الشعر، الشفاء، تحقيق الدكتور عبر الرحمن بدوي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966 ص 34

أما نقاد الأدب فكان يعينهم الجمال في المقام الأول وليس ما قد يترتب عليه من آثار نفسية كإحداث اللذة، السرور والاعتدال كما هو الحال عند أرسطو.

أما ابن رشد فلا يهتم بالجمال من حيث غايته ولا يربطه بوظيفة الفن ولكنه يهتم بإبراز التناسب كقيمة جمالية محاولاً تحديد ملامحه وحدوده مورداً شواهد، حيث نجده يقول: "وأما الموازنة في أجزاء القول فهي على أنحاء أربعة، أحدها أن يأتي بالشيء وشبيهه مثل الشمس والقمر، أو يأتي بالأضداد مثل الليل والنهار، أو يأتي بالشيء وما يُستعمل فيه مثل القوس والسهم والفرس واللجام والأشياء المناسبة مثل الملك والإله، وهذه المناسبة إنما تؤخذ من أربعة أشياء من هذا الباب عيب على الكمية" تكامل فيها الدل والشنب "... لأن الدل غير شبيه بالشنب، ومن هذا الباب قال بعضهم في قول امرئ القيس:

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخليلي: ترى كرة بعد إجمال

أنه غير مناسب وأن التناسب فيه هو عكس ما فعل، أعني أن يكون صدر البيت الأول صدر الثاني وصدر الثاني صدر الأول ومثل هذا قيل في قول أبي الطيب:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم

أن التناسب فيه يكون صدر البيت الأول للثاني وصدر الثاني للأول، وما قاله أبو الطيب له وجه من التناسب وكذلك ما قاله امرئ القيس¹.

ب- التاريخ:

فالأصمعي (217 هـ) يقول: « الشعر ما قل لفظه وسهل ودق معناه ولطف »¹ أي لطف المعنى أو جماله شرط في تكوين الشعر، أما أبو العباس ثعلب (293 هـ) فيقول

¹ -ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو في الشعر ص 241-242

بالتحجيل في الأبيات مشترطاً أن تكون مقاطع الأبيات صادرة صدوراً طبيعياً عن مطالعها متناسبة معها فيقول: « والأبيات المحجلة ما نتج قافية البيت عن عروضه وأبان عجزه بغية قائله وكان كتحجيل الخيل »² وإذا كان ثعلب يقول الدكتور عبد الله صفوت الخطيب - لم يقل بالجمال صراحة ولا بالتناسب مصطلحاً إلا أنه دلّ عليهما ضمناً، فحين طالب بأن تُنتج القافية عن العروض فقد طالب بالتناسب، وحين ربط بين تحجيل الأبيات وتحجيل الخيل فقد أشار إلى الجمال ودلّ عليه من بيئته العربية.

أما في القرن الرابع الهجري فنجد ابن طباطبا "322 هـ" حين يعرض لطريقة بناء القصيدة يعي فكرة الجمال ويربطها بجوهرها وهو التماسك أو الوحدة في القصيدة فيجعلها كلا واحداً غير مشتت إذ يقول: "فإذا كملت له المعاني وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكا جامعاً لما تشئت منها"³ كما يرى أن التناسب في اختيار الألفاظ والبعد عن التضاد فيها بين المعاني والقوافي من الأسس الجمالية أيضاً، حيث يعمّ التناسب والتناسق كل أجزاء القصيدة، ويأتي ذلك حين يتأمل الشاعر "ما قد أذاه إليه طبعه ونتيجة فكرته فيستقصي انتقاد ... ويبدّل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني وانفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن، وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله."⁴ ومعنى هذا أن ابن طباطبا في عيّاره يبع كل ما من شأنه أن يُشِين النظم وينادي في المقابل بأن تكون القصيدة جزءاً

¹- أبو المظفر بن الفضل العلوي، نظرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق الدكتور نهي عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق 1976 ص10

²- أبو عباس ثعلب، قواعد الشعر، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي البابي الحلبي ط1 984 ص 71

³- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق د. طه الحاجري والدكتور محمد زغول سلام بالمكتبة التجارية- القاهرة 1950 ص

واحدا لا يتجزأ وهو ما عبّر عليه بأن يكون الشاعر وهو يقوم بعمله "كالنساج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التقويت ويشده وينيره ولا يهلهل شيئا منه فيشينه".¹

وأما قدامة بن جعفر "337 هـ" فإنه قد حدد الأسس الجمالية وقتن للصناعة الشعرية شكلا ومضمونا من خلال أسس ومعايير تعدّ من القيم الجمالية، فهو مثلا يشير في تعريفه لبعض الأساليب البديعية كالنقسيم، المقابلة والتفسير، وضرورة المناسبة بين أقسام هذه الأساليب²، أما فيما يخص المضمون فيرى أن من أسس الجمال في المديح مثلا أن يكون المدح بالفضائل النفسية فيقول: "ولما ذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبا وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معييا".³ كما يراعى التناسب بين المعنى والمقام فيفضل أن يكون المعنى المناسب في المقام المناسب فيقول: "من عيوب المعاني: إيقاع الممتنع عنها في حال ما يجوز وقوعه، والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدّم الكلام عليه أن المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوّره في الوهم، والممتنع لا يكون لكن ممكن تصوّره في الوهم".⁴

وموقف قدامة ابن جعفر هذا يؤيّد أبو هلال العسكري "395 هـ" حيث نجده يقول: "فإذا أردت أن تعمل شعرا فاحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك وأخطرها على قلبك وأطلب لها وزنا يأتي فيه إيرادها وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه في تلك".⁵ وإنه لقول يتقاطع فيه رأي كل من قدامة والعسكري في نقطة التناسب بين المعنى والمقام كما سلف

¹ - عيار الشعر ص 05

² - قدامة بن جعفر، نق الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية ط1 1979 ص 139-140- بتصرف-

³ - المرجع نفسه ص 145

⁴ - المرجع نفسه ص 201

⁵ - أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل، إبراهيم عيسى البابي الحلبي ط2 ص

الذكر، أمّا التناسب بين الشكل والمضمون عند الثاني فهو عبارة عن نظرة شمولية يتمكن من خلالها الأديب من السيطرة على أجزاء عمله الفنية.

وحين نصل إلى القرن الخامس الهجري نجد عبد القهار الجرحاني "471 هـ" يحرص على التناسب من خلال قوله: "ليس بمجرد اللفظ كيف والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويُعم دبها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب".¹ ومن جهة أخرى نجده يلتفت إلى أهمية الإغراب في إثارة الجمال فيقول: " فإذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشدّ كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحة أقرب ..."² وهو بهذا يذكرنا بموقف أرسطو من الجمال المتمثّل في أن العجيبات إنما تكون من البعيدات.

وأخيرا إذا نظرنا إلى أبي المظفر بن الفضل العلوي "656 هـ" وهو أحد أبناء القرن السابع الهجري الذي عاش فيه حازم القرطاجني وجدناه لا يرى الجمال إلا في حسن النظم وفصاحة اللسان وما شاكل ذلك. فالشعر عنده "عبارة عن ألفاظ منظومة تدل على معاني مفهومة وإن شئت قلت عبارة عن ألفاظ منضودة تدل على معاني مقصودة، فإذا قيس به النثر كان أبرع منه مطالع، وأنصح مقاطع، وأجرى عنانا، وأفصح لسانا".³

واستنادا على ما سبق ذكره يمكننا القول أن النقد العربي القديم قد عرف التفكير الجمالي متصلا بالصياغة الأدبية وقائما على التناسب بين الأجزاء ومراعاة الآثار النفسية المترتبة على مواقع المعاني في المطالع والمقاطع، وأن التفكير الجمالي عند النقاد العرب كان شيئا له سيماته الخاصة المتميزة من التفكير اليوناني في غالبيتها. ولكن إلى أي الاتجاهات كان ينتمي فكر حازم الجمالي؟.

¹- عبد القار الجرحاني، أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتز، وزارة المعارف، إستانبول 1954 ص 03

²- المصدر نفسه ص 116

³- أبو المظفر العلوي نصره الإغريض. ص 10

سبق وأن قلنا أن الذي يريد معرفة فكر حازم النقدي عليه أن يتجه إلى الكتب الفلسفية، وهذه الأخيرة إنما كنا نقصد بها كتب الفارابي، ابن سينا وابن رشد وفيما يلي سنوضح لماذا هذه الإشارة.

يبدو أن الفرق الرئيسي بين الطريقة الأرسطية والطريقة العربية يكمن في العناية التي وجّهت إلى القصيدة كبنية واحدة أكثر من البيت المنفرد، وقد كان لمعرفة حازم بهذا التراث الأرسطي ممثلاً في شروحه الفلاسفة المسلمين فضلها في توجيه حازم إلى هذا المنهج، إلا أن عدّته في المنهاج لم تقف عند حدود ما تناوله الفلاسفة، وبخاصة إذا أدركنا أن اهتمامهم كان منصبا على مطاوعة أرسطو تلخيصاً وشرحاً، وهو الأمر الذي يفرّق بين تناولهم للشعر وتناول حازم له، لأن أرسطو وشارحيه كانوا يشتغلون على الشعر اليوناني المسرحي والملحمي أمّا حازم وإن كان شاركهم في الاتجاه التنظيري - فكان يشتغل على الشعر العربي بوجه خاص.

"ولم تكن قيمة التراث الفلسفي عند حازم تتمثل فيما تمنحه الفلسفة لعلم البلاغة من الشمول والكلية، ولم تكن متمثلة كذلك فيما يربط بين الفلسفة والبلاغة من علاقة عامة هي عنايتها بالجمال"¹، وإنما كانت أيضاً حافزاً إلى سلوك هذا المنهج التنظيري الذي يضيف على عمله قيمته الكبرى في تاريخ النقد الأدبي العربي، وحازم نفسه يشهد بذلك حين يقول "وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا"². وما أشار إليه أبو علي ابن سينا يقصد به قول هذا الأخير "هذا هو تلخيص القدر الذي وُجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول، وقد بقي منه شطر

¹-نظرية حازم النقدية والجمالية ص 53-54

²-منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص 70

صالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق، وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاما شديدا التحصيل والتفصيل".¹

ومعنى ذلك أن حازما اتجه إلى هذا العلم المطلق، أو النظرية الشعرية مهتديا بإشارة ابن سينا ووعده في آخر كتابه، وأن هذا الوعد الذي سعى إلى تحقيقه حازم كان يتطلب معرفة بالشعر العربي حتى يتحقق في قسميه على الشعر المطلق (نظرية الشعرية) وعلم الشعر بحسب عادة هذا الزمان (الشعر العربي) وإلى هذا المعنى الأخير يشير حازم معلقا على نص ابن سينا "وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر وما أبدت فيه العرب من العجائب وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأساليبه".² وإنها لثغرة اكتشفها هذا الناقد الحاذق في ابن سينا جعلته يتميز عن سبقة من النقاد العرب كقدامة بن جعفر مثلا، وينطلق بالنقد العربي انطلاقة جديدة ليصل به إلى صورة جديدة مؤداها هو أن الشعر العربي ينبغي أن يقوم على أسس أربعة هي الألفاظ، المعاني، المباني والأسلوب، وهي الأقسام الأربعة لكتابه منهاج البلغاء والتي يتناولها فيه ككل متكامل دون الفصل بينها -إلا لمقتضيات الدراسة- فكشف عن موقفه الجمالي من خلالها حيث كان يستهدف تحقيق الانسجام والتناسق بين أجزاء العمل الشعري على حسب ما يشير هو بنفسه إلى طبيعة هذا التداول فيقول: "وقد سلكت من التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصل إليه هذا على أنه روح الصناعة وعمدة البلاغة".³

وبهذا يكون حازم القرطاجني بفكره النقدي الجديد قد استكمل أدوات النظرية الشعرية باستعماله التراثين اليوناني والعربي في الشعر واستغلالهما في خلق بناء جديد نسبيا لا يغفل الأسس السابقة ولكنه يتجاوزها إلى فلسفة الفكرة والتعليل لها، وتقويم ما فيها من اعوجاج

¹ -المصدر نفسه ص 69

² -منهاج البلغاء ص 70

³ -المصدر نفسه ص 18

واستكمال ما فيها من نقص، فعالج أسس هذه النظرية من خلال حديثه عن الألفاظ والمعاني في القسمين الأولين حديثاً يختلف عن حديث النقاد الأوائل، حديث الناقد البصير بمادة الشعر الأولى ألفاظاً ومعاني يبين أسس اختيارها وأوجه استخدامها وما يترتب على ذلك من قيم.

ثم انتقل إلى الحديث عن المعاني في القسم الثالث من خلال حديثه عن الصورة العامة لألفاظ، أمّا في القسم الرابع فتحدث عن الأسلوب من خلال حديثه عن الصورة العامة للمعاني في القسم الرابع، وبهذا البناء النظري المتكامل يختلف عن غيره من النقاد السابقين وعن الفلاسفة رغم انه اعترف منهم، ذلك انه تناول أفكار النقاد في شكل نظري بحث لم يتوفر لهم، واستخدم تنظير الفلاسفة في أفكار نقدية لم يحتكوا بها، فأحسن تطوير الأفكار النقدية عند النقاد، وأحسن وضع البناء النظري بطريقة مخالفة للفلاسفة، حيث إنه لم يتابع بناء أرسطو النظري كما فعلوا (شرحاً وتلخيصاً) ولكنه أنشأ بناءً نظرياً خاصاً به يتوافق مع متطلبات الشعر العربي والنقد العربي. هذا فضلاً عن حديثه عن المحاكاة والتخيل في قسم المعاني، ومعالجته الوزن وتركيب العبارة الشعرية، والشكل الفني للقصيدة في قسم المباني ولنا حديث مفصل إن شاء الله عن مفهوم المحاكاة عنده في الفصل الثاني.

ومن أجل ذلك ركز حازم في دراسته للشعر وممارسته له على الشعر الغنائي، ولما كان الشعر العربي غنائياً في طبيعته راح يتمثله تذوقاً ونقداً، ويبدو هذا في ذكره للأمدي والأصمعي والجاحظ والخليل بن أحمد وابن سنان الخفاجي من النقاد وذكره للمتنبّي وامرؤ القيس والبحثري وغيرهم من الشعراء، وإن كان استقراء حازم للشعر - عند الفحول - هو سنده الأول في تنظيره له فقد أحسن - فيما يبدو - تذوق هذا الشعر وتأمل بناءه على نحو لم يتحقق عند سابقيه من النقاد العرب، وقد كان عماده في ذلك التميز استناده إلى تراث فلسفي له عناية نظرية بالشعر. ومن هنا فقد كانت فضيلة حازم كناقد متمثلة في جمعه بين الجانب النقدي والفلسفي في آن واحد، فلم يقف بالنقد عند حد التعريف والتمثيل كما فعل معظم

النقاد قبله ولم يتابع أرسطو في التنظير للشعر من خلال الشعر اليوناني كما فعل الفلاسفة بل جمع بين الاتجاهين ونظر للشعر من خلال الشعر العربي الغنائي بدل الشعر اليوناني المسرحي، وهكذا كان اهتمامه بهذا النوع من الشعر (الشعر الغنائي) دراسة وممارسة لأنه كان يريد أن نظر للشعر العربي تماما كما نظر أرسطو للشعر اليوناني وبصفة عامة "لأن الشعر أصله الغناء كما علمت، والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه، ولما كان الشعر مادته الخيال، والخيال غذائه الحس، والعربي لا يرى من المناظر غير وجود البادية، ولا يسمع من الأفاصيص إلا البطولة والحرب، ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة أبدع في محاكاة ما شاهده من حيوان وسهل وجبل، وأجاد التعبير عن عاطفة الحماسة يوم الخصومة والجدل، وتفنن ما شاء له الحب في التشبيب والغزل، فالشعر العربي غنائي محض لا يعني الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه، والتعبير عن شعره وحسه".¹

تعريف النقد:

أولاً: لغة النقد: وردت لفظة النقد في معاجم اللغة العربية بمعاني شتى وأهمها ما جاء في لسان العرب: النقد والتنقاد: تمييزهم الدارهم، ومعرفة حيدها من رديئها قال الشاعر:

تنقى يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدنانير تنقاد الصياريف

ونقدت الدارهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف، وناقد فلان إذا ناقشة.

وقيل نقد الدارهم نقداً وتنقاداً: أعطاه إياها، ونقد الدارهم الدنانير ميز جيدها من رديئها، ونقد الرجل الشيء بالنصرة ينقده نقداً ونقده إليه: اختلس النظر نحوه".

¹ - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة بيروت، ط28 ص 39-40

ويقال: نقد الشيء ينقاده نقدا إذا اتقرب باصبعه... والنقد أن يضرب الطائر بمنقاده أي بمنقاره... وقد نقده إذا انقره¹.

كما جاء في المحيط: "النقد خلاف البيئة وتمييز الدارهم وغيرها، كانتقاد والانتقاء والتتقد، واعطاء النقد والنقر بالأصبع في الجوز وأن يضرب الطائر بمنقاده أي بمنقاره في الفخ².
قد ورد في مختار الصحاح: نقده الدارهم ونقد له الدارهم أي أعطاه إياها... ونقد الدارهم وانتقدها أخرج الزيف مها:

كما جاء في حديث الدرداء معناه العيب لقوله: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك، أي أن عبتهم عابله³.

ثانيا: اصطلاحا:

إن المفهوم النقد من المفاهيم الواسعة المعنى التي لا يمكن تحديدها لذلك كان من الطبيعي جد أن نجد أكثر من تعريف للنقد عند مختلف المفكرين في مختلف العصور والأمكنة، لذلك إن التعريفات في هذه الحالة تكاد لا تمثل أكثر من وجهات النظر المختلفة في فهم الأشياء، ولاسيما إذا كانت من طبيعة مرنة كما هو الشأن النقد والأدبي وغيرها من المفاهيم المطلقة، وتود الآن أن نلمس ما يمكن إبرازه وتمييزه من التعريفات التي أطلقت على النقد والتي يمكننا الإفادة منها في إثراء هذه الدراسة.

¹ -لسان العرب، ابن المنصور (د، تح) عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب وهاشم محمد الشادلي، دار المعارف، القاهرة، جزء الأول، 4317، مادة نقد

² -القاموس المحيط محمد الدين، محمد الدين بن يعقوب القيروزياني، تح أنس محمد الشامي، زكرياء أحمد، دار الحديث القاهرة، سنة 2008، ص 308-309.

³ - مختار الصحاح، زني الدين محمد ابن البكر عبد القادر الرازي، تح محمد بخاطر وحمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة 1414هـ، 1994م، ص 678. مادة نقد.

فرغم اختلاف معاني النقد من (تمييز بين الجيد والدرئ والمناقشة والإحصاء اختلاس النظر، والعيب) إلا أن المعنى الأقرب والأدق لمفهوم النقد هو التمييز بين الجيد والدرئ من الدارهم ومعرفة زانفها من صحيحها وكما يكون التمييز بين الجيد والدرئ في الأمور الحسية يكون أيضا في الأمور المعنوية ومنها النصوص الأدبية.

أما النقد اصطلاحا:

فهو فن التحليل الآثار الأدبية والتعرف إلى العناصر المكونة لها للانتهاة إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغات من الإجادة¹، وقيل : نقد الأدبي: تناوله ودارسة والنظر فيه... واستخلاص عناصر الجمال التي سما بها، وسمات القبح التي اتضع بها².

ونقد الأدب، ابراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن، ونقد الأدبي، استشارة باجادة المجيد المقصر المسيء فالنقد فهو العدل بالمساهدة والفحص بالأهواء والميول.

قد عرف النقد في أدق معانيه بأنه: فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة وذكر في مقدمة فقال: ولم أجد أخذ وضع في نقد الشعر وتخليص جيدة من رديئة كتابا³.

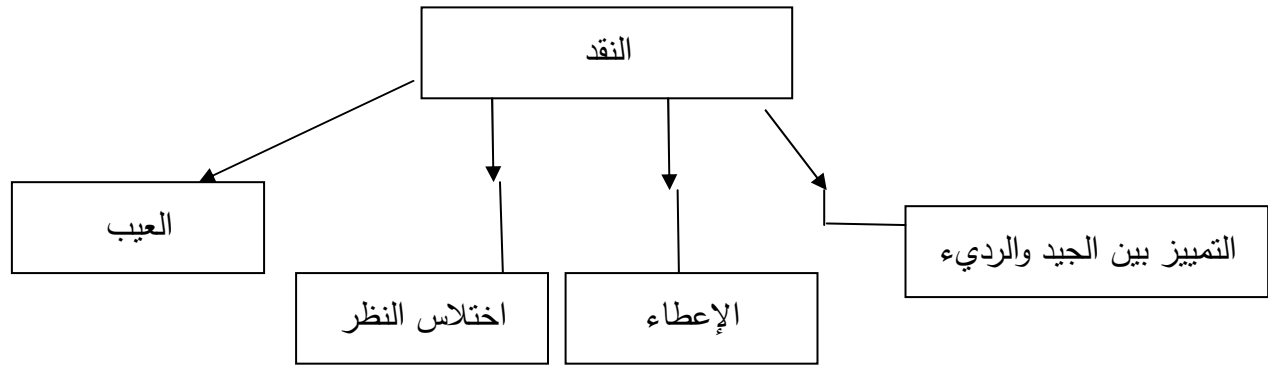
ومن النقاد العرب المعاصرين من يرى في النقد الأدبي مجالا معرفيا يجمع بين العلمية والفنية فهو: فن تقويم الأعمال الأدبية والفنية، وتحليلها تحليلا قائما على الأساس العلمي وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها وصحة نصها وإنشاءها وصفاتها تاريخها⁴.

¹ -المعجم الأدبي، جبور عبد النور، (د، تح)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 283، مادة النقد.
² -المعجم المفضل في الأدب، د.محمد التونجي (د، تح) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط2، لسنة 1419هـ-1999، ج1، ص 836. مادة نقد.
³ - نقد الشعر، أبي فرج قدامة بن جعفر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان (د، ط) (ج، ت)، ص 61.
⁴ - النقد الحديث من المعاناة بل التفكيك خليل ابراهيم محمود، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2003، ص 11.

على أساس علمي وهو الفحص العلمي للنصوص من حيث مصادرها وصحة نصها وانشائها وصفاتها وتاريخها وهناك من يرى أن النقد هو الذي يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف والحسن والقبح واصدار الأحكام عليها¹.

و من خلال هذه التعريفات نستخلص بأن النقد الأدبي هو دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها والمتشابهة لها أو المقابلة، بغية الحكم عليها بيان قيمتها ودرجتها وهو محاولة منضبطة يشترط فيها ذوق، الناقد وفكرة الكشف عن مواطن الجودة والرداعة في الأعمال الأدبية.

الشكل: رقم 01 مخطط توضيحي لمعاني النقد



النقد الأدبي قديما:

حيث نضج الشعر واكتملت صورته الفنية، فتن به العرب فتراؤه وتذوقوه، وتغنوا به، ونظروا فيه تلك النظرة التي تلتئم مع حياتهم وطبيعتهم وبعدهم عن أساليب الحضارة،

¹ -في النقد الأدبي، عتيق عبد العزيز في النقد الأدبي، ط2، بيروت، دار النهضة العربية 1972، ص 264.

فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا واستهجانهم لما استقبحوا في عبارات موجز وأحكام سريعة إن كانت صحيحة عادلة فلما تملئها الفطرة السليمة لا كما يميلها التعميق في البحث والدراسة والمنطق الذي يعتمد على التحليل والتعليل ومن هنا وجد النقد الأدبي في الجاهلية حيث نشأ وترعرع في أحضان علوم البلاغة وتحديد علم البيان وكان في المرحلة الأولى فطريا ذا أحكام عامة يطلقها الشعراء والكتاب والأدباء بعضهم على بعض سريعة لا تعليل فيها وتحليل تروي في الأسواق الأدبية التي كان التحكم فيها معتمدا على الذوق الخاص، والنظر الحذقية يقول حسين جدوانة

إن النقد الجاهلي نقد موجز، مركز يتسم بالارتجال والذاتية التي لا تبعد أحيانا عن الموضوعية... ولا ينفى هذا أن يتصور ناقد القصيدة ككل ويحكم عليها حكم عام ولم يكن النقد مستقلا وإنما كان يدور في محيط الشعر في صورة أفكار وملاحظات.

وهي ملاحظات تدل على وعي نقدي حمل سمات التجربة الإبداعية الشعري لما تحصل من سمات الحياة البدوية من سهولة ووضوح وبعد عن العقيدة وقرب الخيال¹.

ولعل أهم ما يتميز به النقد في هذا العصر الاتجاه إلى الصياغة والمعاني من حيث الصحة والانسجام والحكم على المشاعر الجودة والثناء عليه وغير ذلك وهو حكم يعتمد على الذوق والسليقة لا أثر فيه للفكر وما يتبعه من تحليل واستنباط.

يقول شوقي ضيف.... على أن لا نبالغ في تصور نقدهم فقد كان كما تشهد نصوصه نقد ذوق قطري². إذا لم تكن هناك قواعد مدونة يرجع إليها النقاد في الشرح والتعليل.

¹ - النقد الأدبي القديم عند العرب، د. حسين الجدوانة، دار اليازوري، الأردن، ط1، 2013، ص 49.

² - النقد الأدبي عند العرب، د. حسين جدوانة، دار اليازوري الأردن، ط1، 2013، ص 50.

ومن أبرز مظاهر النقد الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة التي كانت سوق تجارية وموعد للخطباء وكانت في آن واحد بيئة للنقد الأدبي يلتقي فيها حبها بذة الشعر ويعرضوا ما جاءت به قرائحهم من أسفار والباعث على ذلك هو الاستمتاع والتأجور وإصدار الأحكام من ذلك ما تجده عند النابغة اليبانية صاحب السمات الرزين في سوق عكاظ حيث كانت تضرب له فنية حمراء من أدم بسوق عكاظ وتأتية الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشدته الأعشى أبا بصيرت 7 هـ ثم أنشده حسان بن ثابت (ت 54هـ) ثم جاءت الخنساء السليمة (ت 24 هـ) فأنشدته، فقالت لها النابغة: والله لولا أن أباصير أنشدني أنفا لقلت إنك أشعر الجن والانس فقال حسان: والله لأن أشعر منك ومنها قال:

حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول

لنا الجفنان الغر يلمعن بالضحي وأسيافنا يقطن من نجده دما

ولد تابني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا انما

وقال النابغة: انك الشاعر لولا أنك قلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ...¹، ويقال بان الخنساء صاحبة القصائد الجياد والتي يتذوق شعرها رقة وسلاسة وحضرت إلى مجلس النابغة حائلة اللون كاسفة اليال، وترثي أخاها صخر الذي أضمرته الأرض وطولته الغبراء وأنشدته قصيدتها.

قده بغيك أم بالعين عوراء حتى وصلة إلى قولها:

وإن صخرًا لتأثم الهداة به كأنه علم في رأسه تار

وإن صخرًا لك فينا وسيدنا إن صخرًا إذا انشئتو لنحار

¹ - التفكير النقد في العرب، د. عيسى علي العاكوب (د، تح)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1997، ص 26.

وقال النابغة بعدما استمع لقصيدتها التي تستدر العيون وتذيب شفاف الأفتدة لولا أن
أبا يصير أنشدني قبلك إنك أشعر العين والانشء¹.

ويدل علي أن أحكامهم كانت ذوقية وقطرية، فعندما أنشده الأعشى الشعراء،
وعندما أنشدته الخنساء عدها أشهر الجن والإنس غير أن الأعشى سبقها بالإسناد وهذا يدل
على جانب كبير من الذاتية والتي تعتبر من خصائص النقد في العصر الجاهلي والمقصود
لها البعد عن الموضوعية وتأثر الناقد بعوامل خارجية عن النص الأدبي ولعل أبرز دليل
حكومة النابغة على الخنساء².

ومن هنا يتمثل دور النقد الأدبي وعانية قديما في أربعة أمور هي:

1-دراسة النص الأدبي بجوانبه الثلاث (الشكل -المضمون-صاحبه).

2-مساعدة القارئ على فهم النص وتدوقه

3-توجيه الأدب وتطويره

4-الحكم على النصوص الأدبية وبيان جودها من رديها (الجودة).

¹ -النقد الأدبي القديم عند العرب، د.حسين الجداونة (د، تح) دار اليازوري

² -لسان العرب، ابن منظور الجزء 1، ص 72، مادة النقد.

المبحث الأول: مادة ذاق في المعاجم اللغوية

قمت في عملية جمع مادة ذاق باختيار ثلاثة معاجم لغوية وهي (مقياس اللغة لابن فارس-لسان العرب لابن منظور-أساس البلاغة الزمخشري وذلك لشهرتها وقيمتها من بين المعاجم اللغوية، فجاءت كما هو مبين في الجدول التالي:

مقياس اللغة ¹	لسان العرب ²	أساس البلاغة ³
الذوق: هو اختبار الشيء من جهة التمتع.	المذاق طعم الشيء والذواق هو المأكول والمشروب.	ذقت الطعام وتذوقته شيئاً بعد شيء
وقت ما عند فلان اختبرته كل ما نزل بالإنسان من مكروه فقد ذاقه القوس إذا نظر ما مقدار اعطائها وكيف قوتها.	ذقت فلانا وذقت ما عنده أي خبرته.	مجازاً ذقت فلانا وذقت ما عنده
مكروه فقد ذاقه القوس إذا نظر ما مقدار اعطائها وكيف قوتها.	ما نزل بالإنسان من مكروه فقد ذاقه.	ذقت الناس وأكثرهم ووزنتهم فما اشطبت طعومهم ولا اشرحبت حلومهم
	تذوقته يكون فيما يحمد ويكون ذقت القوس انجذبت وترها	وهو حسن الذوق للشعر إذا كان مطبوعاً عليه.
	لننظر ما شدتها الذوق يكون بالفم وغير الفم.	ما ذقت اليوم في عيني نوماً.
	أذاق فلان بعدك سروائي صار.	وذاق القوس تعرفها ينظر ما مقدار اعطائها وتذواق التجار السلعة.

¹-ابن الحسن أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج2، ص 364-365.

²-أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج10، ص 11-12.

³-ابن قاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، عيون ال// منشورات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص 320-321.

معاني مادة ذاق الواردة في المعاجم الثلاثة:

- 1- معنى التطعم: اختبار الشيء من جهة التطعم
- 2- معنى الاختبار: ذقت فلان وذقت ما عنده أي خبرته
- 3- معنى التلذذ: ذاقت كفي فلانة إذا مستها وفي الطعام ذواقه ومذاقه طيب.
- 4- معنى المكروه: ما نزل بالإنسان من مكروه فقد قال تعالى: "ذوق إنك أنت العزيز الكريم" الآية 49، سورة الدخان.
- 5- معنى الصيرورة: أذاق فلان بعدك سر و (أي سياق) التي صار سرى وأذواق القرس بعدك عدوا أي صار عداً بعدك.
- 6- معنى الإدراك: في إدراك مواطن الحسن يقال حس ذوق الشعر
- 7- معنى التثبيت: ذقت الطعام وتذوقته شيئاً بعد شيء مرة بعد مرة
- 8- معنى المطاوعة: استذاق الأمر لفلان أنقاد له وطاوع
- 9- معنى الملائمة: ولا يستذيق لي الشعر إلا في فلان
- 10- معنى المخالطة: دوج الإدراك: ذقت التأسس وأكلتهم ووزنتهم فما استطببت طعومهم ولا استرجعت حلومهم.

هذه أبرز المعاني التي وردت في المعاجم الثلاثة في مادة ذاق، وبالنظر فيها من زاوية أخرى نرى فيها معاني حسية وهو ما يكون باستعمال جارحة من الجوارح.

1- كقولك ذقت الطعام وتذوقته

2- وذاقت كفي فلانة إذا مستها

فهي أمثلة عن معاني حسية في القول الأول كانت بجارحة اللسان، وفي القول الثاني

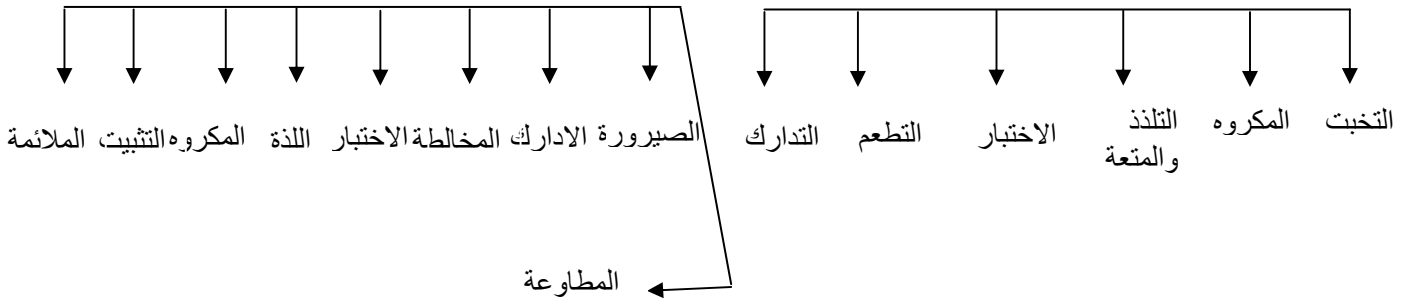
كانت بجارحة العين، وفي القول الثالث كانت بجارحة اليد.

وأما المعاني المعنوية فتكون فيما ليست فيه استعمال جارحة من الجوارح مثل قولك (ذقت الناس وأكلتهم ووزنتهم فيما استطببت طعومهم ولا استرجحت حلومهم).

ومن جهة ثانية يكون التذوق حقيقيا في الطعام، ومجازا في غيره يقول ابن فارس الذال والواو والقاف أصل واحد هو اختيار الشيء من جهة التطعم ثم يشتق من مجازا فيقا ذقت المأكول أذوقه ذوقا وذقة ما عند فلان، أخبرته¹.

وقال ابن منظور من المجاز أن يستعمل الذوق وما يتعلق بالأجسام في المعاني²

معاني مادة ذاق



من هذا المخطط نلاحظ أن المعاني المعنوية في مادة ذاق أكثر من المعاني الحسية، وهذا من يجوز العرب قديما في استعمال كلمة الذوق في غير المعلومات.

¹-ابن الحسن أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، ج2، ص 364.

²-أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، ج10-ص 111.

المبحث الثاني: مصطلح الذوق في النقد القديم

الذوق مصطلح من مادة ذاق وهي كلمة في معناها الحسي معالجة الأشياء باللسان لتعرف طعمها، وجاء في القاموس المحيط ذاقه نوقا ونوقاتا ومذاقا ومذاقه، اختبر طعمه، وتذوقه ذاقه مرة بعد مرة¹.

تم انتقاله بعد ذلك في معناها إلى كل ما تدرك لثة من طرف المتذوق متجاوزة المعنى الحسي "فهو أداة الإدراكات التي تثير في نفس المتذوق لذة فنية"². ونجد ابن خلدون يفصل في مسألة انتقال الذوق من عملية "حسية إلى مصطلح عند النقاد فيقول" والذوق إنما هو موضوع الإدراك الطعوم، لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام، كما هو محل الإدراك الطعوم، واستعير لها اسمه³.

ومن ذلك تدرك أن الذوق كان مستعملا في الأحكام النقدية في العصور العربية الأولى إنه كان يشم بالقطرية، فلم تكن للنقد أصول معروفة ولا مقاييس مقررة، بل كانت مجرد لمحات ذوقية ونظرات شخصية⁴.

ثم لما بدأت تتضح معالم النقد العربي في العصر العباسي ظهر الذوق في كتب النقاد ومؤلفاتهم منهم عبد العزيز الجرجاني (ت 366) حيث عبر عنه بالحلاوة والقبول وعلوق والنفس وسرعة مازجة القلب⁵.

¹-القاموس المحيط، محمد بن يعقوب القيروز أيادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 900.

²-إيلي عبد الرحمان قاسم، الذوق الأدبي في النقد القديم.

³-عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة، اعتناء ودارسة أحمد الترعي، دار الهدى الجزائر، 2009، ص 641.

⁴-مصطفى عبد الرحمان ابراهيم في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، تاريخ النشر 1998، ص 51.

⁵-القاضي الجرجاني، الوساطة بين الممتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص 412.

وكذلك الأمدى الناقد العربي الكبير عالج كثيرا من القضايا النقدية معتمدا على ذوقه الأدبي المصقول وكان يؤمن بأنه وسيلة الناقد لأحكامه في مجال الشعر والأدب. ووضع بعض المقاييس العلمية التي تنبعث من الذوق الأدبي مثل: حسن التأني وقرب المأخذ وأجود الشعر واختيار الاستعارات اللائقة وبراعة اللفظ...الخ¹. أما ابن خلدون فقد جعل فصلا في مقدمته عنوانه تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنها لا تحصل غالبا للمستعمرين من المعجم وقال في بداية الفصل: أعلم أن لفظة الذوق ليندولها المعتنون يفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان².

ويرى ابن خلدون أن الذوق شيء فوق اتقان اللغة لوحدها فيقول: وإذا تبين له ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطربين إلى التطق به... لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها³. وبهذا تظهر أهمية الذوق في العملية النقدية حيث عده بعضهم من شروط الناقد الأدبي⁴. والذوق يبدل يتبدل الأزمنة والأمكنة والأشخاص⁵. وله مؤثرات وعوامل تصقله وتتحكم فيه من سيئة وتراث وأخلاق إذن أن ما نسميه ذوقا ليس إلا مزيجا من المشاعر والعادات والأهواء التي تساهم فيها كل عناصر شخصيتنا المعنوية بشيء⁶. والذوق له أنواع لا يتفق النقاد والأدباء وعادة في تقسيمها ولا في تسميتها منها الذوق الحسن وقد يسمى السليم أو الجهل أو نحو ذلك مما يشير إلى تهذابه وصدق أحكامه، ومنه الذوق الرديء أو السقيم أو الفاسد.

¹- د. مصطفى عبد الرحمان ابراهيم، كتاب النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 151.

²- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة، ص 640.

³- المرجع نفسه، ص 640.

⁴- د. مصطفى عبد الرحمان ابراهيم، كتاب النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 13.

⁵- محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي، دار الشرق العربي، ص 183.

⁶- أحمد مندور، النقد المنهجي عند العرب دار تحفظة مصر للطباعة والنشر، تاريخ النشر أبريل 1996.

وفي الذوق الحسي الذي يتصل بالطعوم والألوان والأصوات ومعنوي يتجه إلى الأخلية لأفكار والأخلاق والمذاهب والأنظمة والقوانين.

ومنهم من يقسمه إلى ذوق سلبي يدرك الجمال وبنوقه دون القدرة على تفسير ما يدرك أو تعليقه والذوق ايجابي يدرك الجمال ويبين مواطنة ويحلل كل صفة أدبية فيه ويقسم الذوق إلى ذوق عام وهو الذي يعطي الحياة الفنية حذا من الموضوعية وذوق خاص يعطي الحياة الفنية حذا من الذاتية، ويمكن إضافة قسم يعرف بالذوق الأعم وهو الذي يشرك فيه التأسيس جمعا بحكم طبيعتهم الإنسانية¹.

فالذوق ملكة راسخة لا تكون بدراسة علوم اللغة والبلاغة والبيان لوحدها وإن كان نقاد العرب يرون المخالطة شرطا أساسيا لا غنى عنه في تربية الذوق ولا نفي عنه دراسة علوم البلاغة والنقد وغيرها فإنهم مع ذلك يرون الناقد في حاجة إلى علوم أخرى² في تربية الذوق ولكن لتسديد النقد وتوجيهه الوجهة الصحيحة³.

فالنقاد الأدبي عند العرب لابد أن يكون عند استعداد طبيعي لأدراك الجمال والقيم في النصوص الأدبية، ثم ينمي هذا الاستعداد حتى يصح ذوقا، ولا تكون التنمية إلا شيء واحد فقط، هو مخالطة ما أثر عن العرب من النثر الرائع والشعر الرصين⁴. ولتنمية مهارات التدوق عند النقاد والأدباء أجريت عدة دراسات وتجارب على طلبة ومعتمد رسين محاولين الكشف عن الطريقة الأمثل للتدوق الأدبي، هل تكون بالقراءة الجهرية أو الصامتة أو الاستماع، وتظهر في كثير من نقاشاتها على أنها متناقضة، ويرى آخرون أن هذه العملية الثلاث على الرغم من اختلاف استكمالها إلا أنها تشابه إلى درجة كبيرة فيما يتعلق بقدرة

¹ - أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة 10، 1994.

² - يقصد بها الطبع والذكاء والثقافة الواسعة والرواية، أنظر الفصل الثاني لكتاب أسس النقد الأدبي عند العرب لأحمد أحمد بدوي، ص 84.

³ - أحمد أحمد بدوي، النقد الأدبي عند العرب، ص 101.

⁴ - المرجع نفسه، ص 101.

الملتقى قارئاً أو مستمعاً، لكن إجراءاتهم في كل عملية تأخذ طابعاً خاصاً، ويحيط بها ظروف متباينة أيضاً مما يجعل الحكم على مدى فاعلية كل عملية بحث وتقصي دقيقين¹. وقد وظف النقاد مصطلح الذوق في أعمالهم النقدية ومن بين هؤلاء حازم في كتابه المنهاج واليك السياقات التي ورد فيها مصطلح الذوق ومشتقاته في كتاب منهاج بلغاء وسراج الأدباء.

¹- د. ساسي الهزليمة، اثر طريقة تفرع النصوص في مهارات التدوق الأدبي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنقلية المجلد الأول ، ع 2 يوليو 2009، ص 329.

المبحث الثالث: استخراج السياقات الواردة في المنهاج وتحليلها

1- السياقات التي ورد فيها مصطلح الذوق ومشتقاته في الكتاب:

إن مصطلح الذوق ومشتقاته في كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء من خلال استقصاءه، نجده ذكر ست عشرة مرة، وهذا ما ورد منها بالمعنى الاصطلاحي الذي له علاقة بالدارسة، أما ورد بالمعنى اللغوي فقد ذكر مرة واحدة في بيت شعري يستشهد حازم به قال فيه:

فَإِنَّ صُورَةَ رَاقَتِكَ فَأَخْبِرُ قَرِيبًا أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودِ أَخْضَرٌ¹

وسياتي الآن ذكر السياقات مفصلة، ولكن على القارئ أن يراجعها في سياقها من نص الكتاب حتى لا يشكل عليه فهم هذه النصوص المستخرجة وإليك مواضعه:

1-ولابد مع ذلك من الذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب وما لا يناسب

2-ويجب أن لا يقتصر على ما للقوة النازمة من سلم الذوق

3-التي تدفعها المقاييس البلاغية والقوانين الموسيقية والأذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره

4-فمثل هذه الذوق من قوله (إن فرت) مقبولة في الذوق وإن كان حرفها أخف

5-لتسلم أقاويل كثيرة ممن يوثق بصحة ذوقه من الكسر

6-لأن اجتماعها مع اللام في قوله (ملحوب) لا يقبله الذوق

7-وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع

8-يعرفها من له ذوق صحيح وحصل له قسط تنفع من الاستقراء

9-ومن لم يكن له ذوق والاستقراء الأوزان فليتول عرفان ذلك من الكتب المؤلفة

10-الذي تعضده الآراء البلاغية و القوانين الموسيقية ويشهد به الذوق الصحيح

11-فوجدت مقبولة في الأذواق لذلك

¹-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 146.

12- فهذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحته الذوق والقياس والسماع
 13- أن توجد الأوزان جارية من جميع ذلك على ما يحسن في السمع ويلائم الفطرة السليمة
 الذوق ص

14- ومن كان صحيح الذوق وحصر مجال النظر ص

15- وأما من لا ذوق له فقلما يتأتى له التوصل بل تميز ما يحسن في مجاري الأوزان

16- ووجد لكل شعر ذوق يخصه وسمة يمتاز بها عن غيره

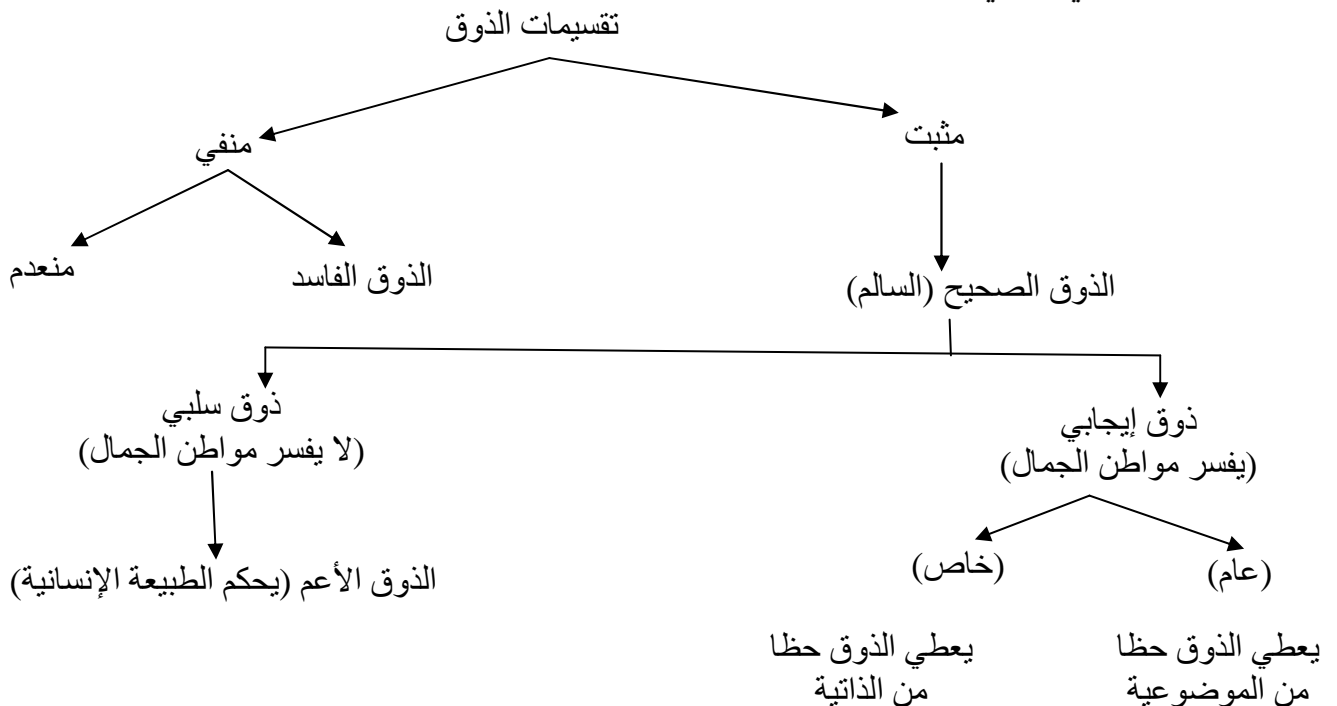
ومن خلال النظرة الدقيقة الفاحصة نجد أن حازما ذكر الذوق على صورتين:

1- ذكره موصوفا بالذوق الصحيح والذوق السليم والذوق المقبول، الفطرة السليمة الذوق
 والذوق المستطاب والذوق الخاص.

2- وذكره منفيًا بـ "لا" ولم من لم يكن له ذوق (ومن لا ذوق له). (ولا يقبله الذوق) دلالة
 على الاعتداء به لفساده، أو لعدمه.

ويمكن تصنيفها بحسب ما مر معنا في المبحث السابق الخاص بمصطلح الذوق
 وباسقاطها على ما ورد في النصوص الحازمية إلى ذوق مثبت وذوق منفي وإليك المخطط

التوضيحي التالي:



نلاحظ مما سبق أن كتاب منهاج البلغاء ركز على الذوق الصحيح المثبت أكثر من المنفي الفاسد. ويرجع ذلك إلى أهمية الذوق في العلمية النقدية ولكي تتضح الصورة أكثر تقوم بتحليل السياقات الحاملة لمصطلح الذوق ومشتقاته في الكتاب.

ذكرت فيما سبق أن السياقات الحاملة لمصطلح الذوق جاءت سبع عشرة مرة وسأقف الآن إن شاء الله على كل واحد منها شرحاً وتحليلاً.

2- شرح وتحليل السياقات الحاملة لمصطلح الذوق:

ولابد مع ذلك من اذوق الصحيح والفكر المائز بين ما يناسب ولما لا يناسب وما يصح وما لا يصح بالاستناد إلى تلك القوانين

ذكر حازم هذه الفقرة تحت عنوان سماه بمعرف دال على طريقة المعرفة بكيفيات تركيب المعاني وتضاعفها وهذا على شكل مبحث من مباحث الكتاب². فتكلم عن المعاني في أنها تكون مفردة الأجزاء ومتضاعفة، وذلك بتعدد الأفعال وبعدد ما تستند إليه، وتتضاعف صور العبارات من كونها عامة أو خاصة، كلية أو جزئية وبحسب الأحكام الواقعة في المعاني بعد تحديدها من نفي وإثبات ومساواة وترجيح أو غير ذلك، وفي كيفيات المخاطبات³.

فهذا التضاعف في الصور الصيغ والعبارات، تكاثرية صور المعاني مما يعز حصره ولا يتأتى استقصاءه لكثرتها، فالشاعر المبدع أو الناقد لا يعرف حسنهما من قبيحها، ولا صحيحها من مختلها إلا سماه حازم إلا بالقوانين الكلية وبالذوق الصحيح والفكر المائز⁴. وحازم يشرح في كتابه هذه المبادئ الواجب توافرها في الشاعر، واصطلح عليها بالقوى ثلاث: ألا وهي القوة الحافظة، والقوة المائزة والقوة الصانعة.

²-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 32.

³-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 34.

⁴-المرجع نفسه، ص 34-35.

فهذه ثلاث قوى يحتاجها الشاعر، وهي التي تكون طبعه الشعري، وهذه القوى التي هي الحافظة والمميزة والملاحظة والصانعة وما جرى مجراها في احتياج الشاعر أن يكون موجودة في طبعة... وهي المعبر عنها في هذه الصناعة⁵.

والطبع ملكة التذوق الكلام لدى الملتقين والمبدعين، وحتى يكون جيدا يجب أن يكون معضودا بالقوة الحافظة والمائزة والصانعة⁶.

ويشرح حازم في شرح هذه القوى الثلاث فيقول: فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة ممتازا بعضها عن بعض محفوظا كلها في نصابه...⁷.

والقوى المائزة هي التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك وما يصح مما لا يصح⁸.

والقوة الصانعة هي التي تتول العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظامية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرج من بعضها إلى بعض...⁹

وهما يلاحظ من خلال شرح حازم لهذه القوى أن الأوليين تتعلقان بمرحلة التفكير في العمل الشعري وأخبرتهم قوة علمية تتعلق بالممارسة الفعلية للإنشاء والإبداع¹⁰.

وكل هذه القوى موجودة في نفس الشاعر المبدع وتظهر من خلال جودة دقة وسلامة ويجب ألا يقتصر على ما للقوة الناضجة من سليم الذوق وما يصح فيه دون ما يصح في العروض...

⁵-المرجع نفسه، ص 35-36.

⁶-محمد بلحسن التجاني، التلقي لدى حازم القرطاجني، ص 83.

⁷-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 43.

⁸-المرجع نفسه، ص 43.

⁹-المرجع نفسه، ص 43.

¹⁰-فاطمة الوهبي، نظرة المعنى

يذكر حازم هنا أن قوة أخرى من قوى الشاعر يجب أن يسميها بالقوة النازمة، وبالرجوع إلى التنوير¹¹. الذي سبق هذه الفقرة نجد حازم يتكلم عن قوة النظم فيقول:

"علم أن ذا القوة القوية على النظم قد يوجد أبطأ في القول من ذي القوة التي ليست متناهية، وذلك إذا قصد إبعاد الغاية في الروية والتنقيح فتطلب المعاني الشريفة ونزع بها المنازع اللطيفة¹² والمتأمل في كلام حازم يظهر له أن النظم عنده غير مقتصر على البنية الشكلية كما ذهب إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وإن كان كلاهما قد اتفقا على أهمية الذوق في التأليف اللفظية، يقول عبد القاهر، "ومن كان لا يفتقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة والاعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه، فيلكن من هذه صفة عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق بقيمه به"¹³.

أما حازم قرأى أن الذوق يدخل في كليهما في البنية الشكلية غير مفصولة عن البنية المعنوية" وأن النظم متعلق بجملته مراحل إنتاج القول الشعري على مستوى العبارات والبنية الشكلية، غير مفصولة عن البنية المعنوية أو التأليفات المعنوية، ولذلك فإن حازم يضع النظم في مقابل الأسلوب، حيث الأخير مختص عنده بالتأليفات المعنوية أم النظم فمختص بالتأليفات اللفظية¹⁴.

وفي المعلم الدال على طرق العلم بكيفية الاستمرار في الأساليب والاطراد عليها وما يجس اعتماده فيها: فهل ما أجمله من اعتماد الذوق السليم في النظم المعنوي واللفظي فقال: فان النظام اللطيف المأخذ، الرقيق الجوائي، المستعمل فيه الألفاظ العرفية في طريق الغزل، تخيل رقة نفست القائل، ولو وقع ذلك مثل في طريقة الفخر لما تخيل الغرض بل تخيل ذلك

¹¹ -فاطمة الوهبي، المرجع السابق، ص

¹² -حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 211.

¹³ -عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق محمود شاكل، مطبعة المدني القاهرة مصر، الطبعة الثالثة، ص 1992.

¹⁴ -فاطمة الوهبي، نظرية المعنى عند حازم، ص 313.

الألفاظ الجزالة والعبارات الفخمة المتنية القوية وكذلك لطف الأسلوب ورقنه تخيلان لك أن قائله عاشق وخشونة الأسلوب وجفاؤه لا يخبلان ذلك¹⁵.

3- التي تدفعها المقاييس البلاغية والقوانين الموسيقية والأذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره

يظهر من هذه الجملة أن حازم يولي في نظمه للشعر أهمية بالغة للبلاغة والقوانين الموسيقية والذوق الصحيح، حيث يرى انه من الواجب مراعاة التناسب في التركيبات وأعطى أدلة على ذلك في استقصاءه واستقراءه، لما ورد عن العرب في وزمن المقتصين، يقول حازم: ومنها المقتصين وأصل بناء شطره (فاعلن فاعلن فاعلن مفاعلتن) إلا أن هذا أثقل.. فلهذا لم يستعملوه إلا منصوفاتي محذوف التصق من كل شطر وهذا لصحيح الذي يشهد به السماع والقياسة والقوانين البلاغية في اعتبار تناسب التركيبات¹⁶.

وحازم يشير إلى العلاقة الموجودة بين أوزان الشعر والنغم الموسيقي خاصة وهو من مدرسة تؤمن بالعقل والفلسفة وهو تلميذ الفارابي وابن سينا والذين ذهبوا إلى أن (دراسة الأوزان الشعرية هي مهمة العروض والموسيقى على حد سواء¹⁷).

هناك جذور قديمة لهذا التصوير ترجع إلى الجاحظ المعتزلي الذي أكد: أن وزن الشعر من جنس الغناء، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى¹⁸. وقول حازم الأذواق الصحيحة في هذا الوزن غيره وأشعارات إلى التناسب الذي يتفق عليه أهل الشعر والموسيقى ممن يتذوقون للتألف الموجود بين الصوت والحركة والسكون. قال حازم وقد وضح في صناعة الموسيقى إن فحولات مضادات الفاعلات كما إن فعولن مضاد الفاعلن الآن الوضع

¹⁵ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء ، ص 364.

¹⁶ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 234.

¹⁷ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 235.

¹⁸ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1995، ص 297.

فيهما متخالف. فكيف لوضع المتضادات وضع المتماثلين في ترتيب يقصد به تناسب المسموح والتتظر بين الأجزاء المتماثلة في الوضع¹⁹.

وممكن التذوق في جمع ذلك "إن هذا التألف يثير بهجة النفس لملقيه من تناسب صوتي، وإنما تستعلى الأعاريض فيما يقول "حازم بوقوع التركيب فيها"²⁰.

4- فمثل هذه الذوق من قوله إن فزت مقبولة في الذوق وإن كان حرفها أخف

تكلم حازم في مجاري الأوزان وأبيتها عن مصطلحات كثيرة، وذكر تقسيمات دقيقة في جانب العروض، وذكر مصطلح العروض الذي هو بمعنى البحر فقال: فما ينوه على ذلك من الأعارضة الطويل والبسيط والمديد والمتقارب والرجز والهزج والرمل²¹. فذكر في هذا المبحث شيئاً مما وقع فيه العروضيون من الخلط بين البحور في أوزانها. وما يقع فيها من التغيرات والعلل والزحفاة، وهما ناقشت في حازم العروضين هو الوزن الذي يشابه المخلع عن المحدثين في زمانه، وهو (مستفعلاتن مستفعلاتن) فيرون أنه رجع لواحد من الأوزان المعروفة عن العرب وحازم يرى أنه وزن جديد قائم بنفسه يقول فأما الوزن المضارع لهذا المخلع وهو الذي اعتمده المحدثون أجزاء نهايته على مثال (فعلولن) فليس راجعا إلى واحد من هذه الأوزان، وإنما هو عروض قائم بنفسه²².

ويفقد حازم قولهم بأنه في وزنه أشبه بالخيب من المخلع فيقول إنه: مركب شطره من جزأين تاسعين على نحو تركيب الخيب وتقديره (مستفعلاتن مستفعلاتن)²³

¹⁹ - المصدر نفسه، ص 235.

²⁰ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي 1995، ص 296.

²¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 238.

²² - المصدر نفسه، ص 238.

²³ - المصدر نفسه، ص 238.

ثم ذكر أنهم يلتزمون حذف السين من الجزء الثاني لأن السواكن في كل وزن إذا توالى منها أربعة ليس بين كل ساكن منها وساكن إلا حركة تؤكد حذف الساكن الثالث وحسن بذلك الوزن حسنا كثيرا.

ثم أورد حازم مثلا على قوله ليس فيه حذف الساكن فقال ومما جاء على أصل الوزن قول بعض الأندلسيين:

وَحْيٍ عَلَيَّ إِنْ فَرَّتْ حُبًّا أَمْضِي مَوَاضِيَهُمُ الْجُفُونُ²⁴

وَحْيٍ عَنِّي إِنْ فَرَّتْ حَبِيْبِيْنَ

OIOII OIOIOI OII OII

متفعلاتن مستفعلاتن

نلاحظ مما سبق توالي أربع سواكن، وهذا رآه العروضيون في زمانه أن يكون حذفه أحسن لخفته، فقال حازم: حذفها أخف لكن بقاؤها مقبول في الذوق. ثم رجع بين القولين هل يقدم المقبول أم الأخف؟ فقال: "فواجب أن تجعل التجزئة الوزن بعين ما وجد مقبولا فيها"²⁵.

5- تسلم أقاويل كثير من يوثق بصحة ذوقه من الكسر في هذه العبارة

في هذه العبارة ينوه حازم بقيمة الذوق عند أهل العروض الذين يدركون التناسب في الوزن بطبعهم وفيه تعريض لمن جعلوا العملية قياسية بحتة فقال بعد ذلك "لأنه كالمستحيل عليهم، فان طباعهم لا تقبل ذلك إلا وله وجه"²⁶.

وذكر حازم غير هذا الموضع أن الشعر ليس وزنا وقافية فقط. وإنما هو طبع جديد ودرية وتعلم. يقول حازم وأنت تجد الآن الحريص على أن يكون من أهل الأدب المتصرفين

²⁴ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 239.

²⁵ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 239.

²⁶ - المرجع نفسه، ص 239.

في صوغ قافية أو فقرة من أهل زماننا، يرى وصمة على نفسه أن يحتاج مع طبعه إلى تعليم معلم أو تبصر مبصر، فإذا تأتي له تأليف للام مقفى موزون وله القليل الغت منه.. ظن أنه قد سام الفحول وشاركهم رعة منه وجهلاً²⁷.

ويظهر من كلام المقارن بين أهل زمانه والحلبة السابقة عليهم من الرعيل الأول، البون الشاسع الذي يفصلهما، فستان بين الإبداع الأمس الذي يتأزر فيه الطبع مع المتعلم. والإبداع زمان حازم الذي يقتصر فيه أصحابه على طبع فقير من التعلم بعيد عن الاقتداء بالفحول²⁸.

ومما سبق ندرك أنه ليس كل من نظم كلا ما بوزن وقافية فقد جاء يشعر وإنما يحتاج ذلك على ذوق صحيح يهدي البليغ إلى جودة وحسن التركيب الموافق لتركيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ممن يوثق بصحة ذوقهم على حد قول حازم. حتى إذا ما عرضت على هؤلاء كلام حائد عن أسلوب العرب وببلاغتهم في نظم كلامهم أعراضوا عنه ومجوه.

6- لأن اجتماعها من اللام في قوله "ملحوب" لا يقبله الذوق

يطرح حازم في هذه الفقرة قضية مهمة في الوزن الشعري، وهي تألف الحركات والسواكن وما يتبع ذلك من تعاقب زمن للحركة والساكن، فيضع بذلك الشكل العروضي للبحر بدءاً بالأساليب والأوتاد أو ما يسميه حازم بالأرجل ثم المقاطع ثم التفعلية ثم الشطر ثم صورة البيت الذي يظهر من خلاله ملامح البحر، فهذه الأشكال تتناسب فيما بينها من أصغر عنصر الذي هو المتحركات والسواكن إلى أكبرها فتحقق الخاصية الجمالية للوزن وحازم أثناء تعارضه لهذه القضية ذكر شرط بيت وهو:

"أقفر من أهله ملحوب"

²⁷-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 27.

²⁸-محمد بن الحسن التجاني، التلقي لدى حازم القرطاجني، ص 170.

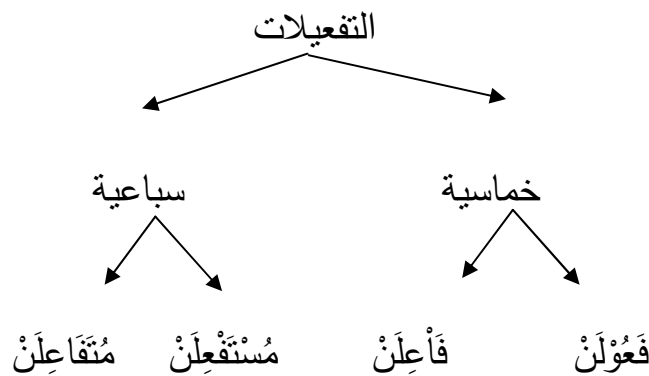
ثم قال بأن اجتماعها أي ساكن من اللام في قوله "ملحوب" لا يقبله الذوق إذا كانت السواكن في ذلك الوزن قد تناهت في الكثرة فكانت أربع حماس المتحركات²⁹. وحازم من أهل العقل والفلسفة والشعر فكلامه في هذا الكلام به قيمة خاصة إن المتتبع لكلامه في المنهاج يلحظ الدقة وسعة الاطلاع على أشعار العرب فيقول حازم وما ائتلف من أجزاء تكثر فيه السواكن فان فيه كزازة وتوعرا.

وما ائتلف من أجزاء تكثر فيها المتحركات فان فيه لدونة وبساطة.

ثم يعطي بعد ذلك المقدار المطلوب من السواكن في المتحركات -حسب نظره- فيرى أن تكون السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحركات والسواكن إما بزيادة قليلة أو نقص ولأن تكون أقل من الشك اشد ملائمة من أن تكون فوقه³⁰

ومن الظريف أن تلاحظ أن فكرة حازم عند عدد السواكن في الوزن فكرة صحيحة لو تأملت الأمر من زاوية التحليل الكمي للتفاعيل العروضية نفسها، ويسهل من هذه الراوية ان نلاحظ أن نسبة السواكن إلى مجموع الحروف المتحركة والساكنة أي تفعلية تحوم عادة حول الثلث قد تزيد قليل أو تنقص قليل³¹.

وإليك المخطط التالي يوضح أمثلة عن تناسب الحركات والسواكن:



²⁹-تمام البيت "فالطبية فالذونوب" وهو مطلع معلقة عبيد بن الأبرص الأسدي، حازم القرطاجني، منهاج البلاغ، ص 239.

³⁰- المرجع نفسه، ص 26.

³¹- جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 318.

0110111

0110101

01101

010 11

ومن خلال نظرنا لهذا المخطط يظهر لنا أن للسواكن تدور حول ثلث، فكما قلت كانت بسيطة على حد تعبير حازم وهي مقابلة لمعنى الاسترسال والتذوق والسهولة، والاستواء وكما كثرت كانت جعدة وهي مقابلة لمعنى التقطع والتقبض والكراسة. وهذي المعاني لها علاقة.

لحالات نفسية تدرك بذوق سليم من طرف المبدع والمتلقي وعليه فان (الشاعر لا يحتاج إلى الاستعانة بالعروض في نظمه ووزنه إذا كان الشاعر صحيح الطبع سليم الذوق³²).

7- وهو المستطاب في الذوق والأحسن في الوضع

يرجع حازم ليتكلم هنا عن التناسب في الوضع لتفعيلات البيت، والتفعلية عند حازم تكون خماسية أو سباعية أو تاسعية، وطريقة وضعها وتعاقبها وتكرارها أو تنوعها مما يتكون من البحر، فإذا كان الوضع والتوزيع للتفعيلات مناسب للسمع فهو مقبول أو مستطاب في الذوق وما حدث فيه ثقل أو اضطراب أو تنافر، فقد خسر التناسب وعنده ليس مستطابا في الذوق.

وفي الفقرة التي تقوم بتحليلها تكلم عن مرتكب من وضع المتأخرين من شعراء جعلوا الجزء المفردة فيه تساعيا والمتشفعين سابعيا.

وصورته: مُسْتَفْعِلَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

فقدموا التساعي (مستفعلتن) وآخروا السباعيين (مستفعلين مستفعلن)

فقال حازم هذا أحسن في الوضع وأطيب في الذوق وذكر علة حكمة فقال: بأن كل جزء من الأجزاء أخف مما قبله³³.

³² - فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي (النقد والناقد)، منشأة المعارف بالاسكندرية.

³³ - حازم القرطاجني، منهاج البلاغ، ص 241.

وهذه التفعلية هي (وزن ديبيتي) ولم تعرفه العرب من قبل، ولكن حازم يصفه فيقول "لا بأس بالعمل به فإنه مستطرف ووضعه متناسب"³⁴

مما سبق ندرك أن حازما يؤمن بالتجديد ويرفض الاعتداء بكل ما قبلته العرب في زعم العروضيين³⁵.

وأساس الرفض والقبول عند حازم مرتبط بحرصه على تميز الأساس الإيقاعي للأوزان في ضوء فكرة الانتظام في الوقت والتناسب في السمع وعلى هذا الأساس يصحح حازم ما يرد.

وابن سلام الجماحي لا يترك الحكم للأذواق المختلفة بل يحكم الذوق المنتقف بالثقافة الشعرية العميقة... ويحكم بالجودة أو الرداءة لسبب يحسن من ذوقه لكثرة ممارسته وشدة مخالطته لرائع الكلام، وكأنه يقيس ما يسمع³⁶.

فنقاد العرب يرون المخالطة للأدب شرطاً أساسياً لا غنى عنه في ترتيبية الذوق، ولا يغني عنه دراسة علوم البلاغة والنقد وغيرها³⁷. وهذا بالضبط ما عناه حازم باشتراطه الاستقراء الذي يكون من وراء مغالطة الكلام العرب وضبط القواعد الكلية لصناعة الشعر وقبلها ذوق خاص يدرك به صاحبه مواطن الحسن والجمال عن العرب ويشكك في الخيب ويرفض المضارع³⁸. لأن طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتاجها³⁹.

وعندما يرفض حازم أن يحيل مثل هذه الأوزان إلى طباع العرب التي في نظره طباع جيدة فهو إشارة منه إلى دور الذوق في وضع الأوزان وتناسبها.

³⁴ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 243.

³⁵ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 299.

³⁶ - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر، الطباعة والنشر، ص 93.

³⁷ - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 101.

³⁸ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 322.

³⁹ - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 101.

8- يعرفها من له ذوق صحيح وحصل هل قسط مقنع من الاستقراء

تكلم حازم في الإضاءة التي قبل هذا التنوير على ما يقع للأوزان من علل وزحفاة وما يحدث من تغيرات بحذف أو إسكان أو زيادة وذكر ذلك شيء من الإجمال ثم قال وقوع هذه العلل والتعابير ويعرفها من تلقاء نفسه من له ذوق صحي وحصل هل قسط من الاستقراء وشد مع ذلك من هذه الصناعة⁴⁰.

فحازم أرجع إدراك هذه التعابير إلى الذوق الصحيح والاستقراء الأشعار العرب، واتقان صناعة الشعر، ولا يكون ذلك إلا بالثقافة الوساعة في مجالي الشعر وأوزانه وكلام العرب وأساليبهم.

فحازم من خلال كلامه هذا يظهر لنا بأنه ناقد موضوعي إلى حد بعيد حيث أنه لم يعتمد في حكمه على النصوص بالذوق القطري، وإنما جعل الحكم للذوق المثقف، الذي تتطافر فيه الملكة الذوقية بالممارسة الفعلية لكلام العرب وأشعارهم. وكثير من النقاد العرب أصحاب النقد الموضوعي قالوا يمثل مقاله حازم فابن خلدون يتكلم عن الذوق فيقول: "وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتقطن لخواص تراكيبه"⁴¹.

9- ومن لم يكن له ذوق والاستقراء الأوزان فليتولى عرفان ذلك من الكتب المؤلفة وفي

هذا السياق ذكر الذوق منفيًا وهو إما أن يدل على عدمه أو فساده.

ومهما يكن فإن كلام حازم يؤخذ منه أن طالب صناعة اللسان والبيان والملم بالقوانين الكلية للشعر، يمكنه أن يحصى ما يحدث من علل وزحفاة بثقافته.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل الدرية ومخالطة الكلام العرب وطلب علوم

الصناعة اللسان تصنع ذوقًا للناقد والشاعر؟

⁴⁰ - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 101.

⁴¹ - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 101.

هذه القضية تكلم فيها النقاد القدماء كثيرا منهم ابن خلدون حيث يرى أن من عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب، فليس من تحصيل الملكة في الشيء، إنما حصل أحكامها وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتقاد لكلام العرب⁴². ثم يقول وربما يدعي كثير من ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها، وهو غلط أو مغالطة وإنما حصلت له الملكة إن حصلت في تلك القوانين البيانية وليس من ملكة العبارة في الشيء⁴³.

وعند مقارنة كلام ابن خلدون وحازم يظهر لنا أن ابن خلدون يرجع صحة الذوق إلى مغالطة كلام العرب والممارسة أما حازم فيظهر من كلامه أن الثقافة وطلب المعرفة من الكتب المؤلفة تكون عاملا مساعدا في الكشف عن موطن الحسن والجمال.

ومع ذلك لا نجزم أن حازما ما يرى تكون الذوق الصحيح من التعلم لوحده فحسب، ولكن ينظر لطالب هذا العلم أنه يظفر بشيء يسير ويظهر ذلك من خلال قوله: وأما من لا ذوق له فقلما يتأنى له التواصل إلى تمييزها يحسن في مجاري الأوزان⁴⁴ فكلامه هنا واضح ف يأن من حرمة هذه الملكة سيصيب في القليل ويفتوه الكثير وهذا لن يرفعه إلى درجة الشاعر المبدع أو الناقد الحاذق.

10- الذي تعضده الآراء البلاغية والقوانين الموسيقية ويشهد به الذوق الصحيح تكلم حازم عن الأوزان وإنحاء تركيباتها وما يسوغ فيها، ثم يرى بأنه هو الرأي الصحيح الذي تعضده الآراء البلاغية، والقوانين الموسيقية ويشهد به الذوق الصحيح السماع الناتج عن فصحاء العرب⁴⁵.

فصحة رأيه مستندة إلى أربعة دعائم قوية:

⁴² - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ص 641.

⁴³ - المرجع نفسه، ص 641.

⁴⁴ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 265.

⁴⁵ - المصدر نفسه، ص 258.

1-أراء أهل البلاغة

2-القوانين الموسيقية

3-الذوق الصحيح

4-السماع الناتج عن فصحاء العرب

وفي سياق كلامه عن هذه الدعائم، يفهم منه أن الناقد يحتاج إليها في العملية النقدية فيما سيأتي من سياقات توضيح لهذا الكلام.

11-فوجدت مقبولة في الأذواق لذلك

يناقش حازم هذا التنوير مسألة الحزم⁴⁶. وينفي أن يكون جزءا من القصيدة، مدلا على ذلك باختلال الوزن بينهما، وإن الوزن هو جوهر الشعر⁴⁷.

ثم أورد مسألة زيادة ساكن أو حذفه وليس أن ذلك لا يضر في ميزان البيت لسببين هما:

1-أن السكّن الحركات زمانا فلا يؤثر في الميزان

2-أن بالحذف أو الزيادة يرجع البيت إلى أصل من أصول التفعيلات⁴⁸.

ولعل استعار ذلك من قوله معلمه من سخيا الذي يرى أن الحذف إذا لم يخل بإبعاد الزمن، يلون الإيقاع فينقلنا من الغنج مثلا في إيقاع كثير الحركات الحقيقة إلى رشاقة وقرب في الطبع، تميز بها آخر داخل الإيقاع نفسه⁴⁹.

ويقول ابن سينا إذا كانت تغيرات متتالية وخصوصا خفاف الأزمنة، وحذف بعض

تلك النقرات وحفظ زمانها لم يحتل الإيقاع وحسن ذلك إذا لم يكثر جدا⁵⁰.

⁴⁶ - الحزم هو توطئة وتمهيد لإنشاء القصيدة وبناء العبارة عليها ولا تدخل في طلب القصيدة قد تكون موزونة أو مسجعة لكن لا تعتبر جزءا من القصيدة حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 263.

⁴⁷ - المرجع نفسه، ص 263.

⁴⁸ - المصدر نفسه، ص 263.

⁴⁹ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 321.

⁵⁰ - جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 322.

وأرجع حازم قبول ذلك ف الأذواق العلل المذكورة سابقا ولما أورده تفصيل في المسألة، والمتأمل في تعليل حازم يلحظ الدقة في الوزن الشعري وحسن استماره معلوماته في مجال الموسيقى والفلسفة والمنطق.

12- فهذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحته الذوق والقياس والسماع

13- على ما يحسن في السمع ويلائم الفطرة السليمة الذوق،

وقع بين هذين السياقيين واجمال وتفصيل، فقد تكلم حازم عما يستفيح في الزحفاة وذكر أنها أربعة أشياء وقال بان هذا هو الرأي الصحيح الذي يشهد بصحته الذوق والقياس والسماع⁵¹.

ثم فصل في ذلك فقال أن توجد الأوزان جارية من ما يحسن في السمع ويلاءم الفطرة السليمة الذوق ويوجد مع ذكر كثيرا مطردا في إشعار فصحاء العرب. واليك الجدول التالي يوضح التقابل في المعاني:

المصطلحات	مقابلاتها
الذوق	يلائم الفطرة السليمة الذوق
القياس	مطردا في أشعار العرب
السماع	يحسن ف السمع

والتأمل في هذا الجدول يلاحظ:

- 1- اهتمام حازم بوضع المصطلحات لما يورده من معاني
- 2- اهتمامه بالمتلقي كعنصر أساسي في العملية النقدية من خلال استحضاره في عملية أساسية على ما اعتماده المتلقي
- 3- تأكيد على ا لذوق الذي يدخل في طرفي العملية الإبداعية وإذا فقد في أي الجانبين حدث الاضطراب والخلل.

⁵¹ - حازم القطراني، منهاج البلغاء، ص 264.

14- ومن كان صحيح الذوق وحصر مجال النظر ص

15- وأما من لا ذوق فقلما يتأتى له التوصل إلى تمييز ما يحصل

يطرح حازم هنا قضية الذوق وأهميتها بالنسبة للناقد، فأثبت حازم أن الناقد صحيح الذوق يمكنه أن يهتدي لما فيه الحسن الجمال من خلال ذوقه فلا يختلط عليه الملائم من غير الملائم أو المطرد من غير المطرد ويشبه ذلك الذوق بالضوء الموصل للصواب فيقول عن مثل هذا النقاد "فقد استضاء بأية مثل هذا الناقد فقد استضاء بأية التوفيق الميصرة، وورد صوب الإصابة من منشأ سحائبه الممطرة

وأما من عدم ذوق فقلما يتوصل إلى تمييز ما يحس في مجاري الأوزين ومياتي هما يقبح فيهما"

ويظهر هما مضى أن الذوق السليم عدة الناقد ووسيلة الأولى وإليه يرجع إدراك حيمال الأدب والشعور بما فيه من نقص وإليه ترجع في تحليل ذلك وتفسيره، وبه تستعين في اقتراح أحسن الوسائل لتحقيق الخواص الأدبية المؤثرة

16- ووجد لكل شعر ذوق يخصه وسمه يمتاز عن غيره

يحلينا حازم في كلامه هذا إلى الأسلوب والمنزع، فكل شاعر بصمة يضعها في شعره وأسلوب يخصه وطريقة يفتح بها قصائده، فحازم للقصيدة نظرة واعية على إنها ليست قالبا تصفق فيه الألفاظ والمعاني على طريقة الأوائل، ويوضح حازم تلك قبضت الأسلوب بأنه البصمة الخاصة التي يمتاز بها الشاعر ويتفوق على أقرانه، ويتكلم عن منازع الشعراء فيقول هي كيفية أخذ الشاعر في بنية نظمه وصيغة عبارية، وما يتخذه أبدا كالقانون في تلك... فإن ذلك كله منزع أخص به أو اخص بالإكثار منه والاعتناء به"

وهناك عبارة قديمة تقول "لا متساحة في الإذواق وما تزال لهذه العبارة أصداء قوله في الكتب التي تناوله مشكلة الذوق وبعض المعاصرين يستخدمها من حيث أسهل الحلول المشكلة اختلاف الأذواق

دائماً هناك حيمال يشترك التأسيس في إدراكه والتأثير به وكأنه أجماع متهم على حيماله لوضوح أساسية وإمكانية تفسيره وهو ما يعرف بالذوق الموضوعي (العام).
لكن تبقى حالات ذوقية تتباب المبدع في آثاره وتستهويه، أو المتلقي فيها يستقبله وهذا راجع لشخصية وهذا راجع لشخصية المتذوق وما يتأثر به من أشياء.

ونجد طه حسين يتكلم عن العام والخاص في رسالته حافظ وشوقي هناك ذوقان لكل واحد حظ منهما يختلف قوة وضعفاً ويتفاوت سعة وضيقاً باختلاف ما لشخصيته من القوة والظهور فكان حازم بعد ما تكلم عن المباني والمعاني والأوزان الأساليب ودور الذوق فيها، كان يتكلم عن ذوق عام يشترك فيه التأسيس ثم ختم كتابية بضرورة أي يوقع الشاعر أو الناقد قصيدتها أو رأيه بذوق يخصه ويستقبل به من غيره، ولسان حال حازم يقول ما ذكرته من المعاني والأورتن ليس لتتأسس ربها، ولكن تاون لك عونا على كشف قناع ذوقك الخاص.

ولهذا أكون قد أتممت تحليل السياقات التي ورد فيها مصطلح الذوق، والملاحظ من خلال هذه السياقات ألا الذوق في كل المراحل إعداد النص وتلقيه.

الخاتمة:

إن النقد الأدبي عند حازم القرطاجني موضوع هذه الدراسة وقد سعت عبر مقدمة ومدخل، وفصل نظري، وفصل تطبيقي، وخرجت من ذلك بجملته من النتائج أسفرت عنها هذه الدراسة، لعل أهمها ثبوت إيمان حازم الفيلسوف المنطقي بالنقد الأدبي وهذا يبرز للمصطلح من حمولة معرفية عند حازم، ويكشف عن الآراء الفكرية تجاهه، فتأكد لي ما لا يدع مجالاً للارتياب أن حازماً قصبات السبق، وأن لديه في موضوع الذوق رؤية متكاملة وقد استطاع من خلال هذا البعد الهام أن يخرج على الناس بنمط جديد من الدراسة لا تكاد تعثر على مثيل له عند غيره من النقاد.

كما يتضح لنا من خلال تحليل السياقات الواردة في منهاجه.

1- أن المعاني متعددة ويعز حصرها واستقصاؤها وذلك لتعدد الأفعال وبعدها ما تستند إليه وتتضاعف بكونها عامة أو خاصة كلية وجزئية وبحسب الأحكام الواقعة في المعاني وفي كيفيات المخاطبات ولكن يمكن للشاعر أن يمتد إليها بالذوق الصحيح.

2- أن هناك علاقة وطيدة بين الطابع والذوق حيث أن الطابع ومملكة تذوق الكلام الغرب ليكون بذوقه سليماً.

3- أن الذوق يدخل في بنية التشكيلية غير مفصول على النية المعنوية وربما حازم بين نظرية النظم والذوق متجاوزاً قول عبد القاهر الجرجاني.

4- ربط بين الأسلوب والذوق فجعل اختيار الأسلوب المناسب في النظم والتأليف يكون على أساس الذوق السليم، وأشار أثناء ذلك إلى مسألة التخيل التي يحدثها الأسلوب، أن الذوق عند المتلقي هو الذي يحدد تخيله.

5- أدخل الذوق -كذلك- في الأوزان الشعرية وفي إدراك العلاقة بينهما وبين النغم الموسيقي

6- أن صاحب الذوق بكشف الخلل في التأليف بين الحركات والسواكن، وما يعقب ذلك من تعاقب زمني للحركة والسواكن ثم ما يحدث وراء ذلك من استرسال وتدفق واستواء وإذا وقع الخلل حدث التقطع والتقبص والكراسة

7- إن حازم يقبل التجديد في الأوزان الشعرية الملائمة للنفوس والتي لا تتعارض مع الذوق الصحيح يرفض الاعتداد بكل ما نسب إلى العرب إذ كان مخالفاً لذوق.

8- جعل الذوق واحداً من الدعائم الواجب توافرها في الناقاة ليكون حكمه صحيحاً موافقاً لما كانت عليه العرب في نسج كلامها.

وأما هذه النتائج المتوصل إليها تبقى الكثير من العلاقات بين الذوق والقضايا النقدية التي تحتاج إلى جهة وعزيمة للكشف عنها وفك رموزها، مثل قضية التخييل والمحاكاة والابداع ونظرية المعنى ونظرية القراءة وغيرهم من النظريات النقدية الحديثة، لأن حازماً كان طفرة في زمانه الذي ساءت فيه الصراعات والجهود الفكري والاضطرابات السياسية وما يزال الكاتب محط أنظار النقاد والأدباء لكما أغرقوا في الغوص وجدوا في هذا المحيط ما لا يجدونه في غيره من الأنهار والأحوض.

1-القرآن الكريم ورش عن نافع

المصادر:

1-أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، وسريع الأدباء، تقديم وتحقيق الحسيب ابن الخوجة، دار الغرب الاسلامي الطبعة الثالثة.

2-د.محمد الحسيب ابن الخوجة، الأعمال الكاملة (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) تقديم وتحقيق محمد ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، طبعة الثالثة 2008م.

المراجع:

1-أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العراقي الطبعة لسنة 1983م.

2-أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 2001م.

3-أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، 1994.

4-أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عن العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر.

5-جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة، 1995م.

6-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 1992م.

7-جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة (في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية، 1979م.

8-ابن الحسين أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.

9-الشاهد اليوشخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1995.

- 10- محمد عزام، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي.
- 11- محمد عزام، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر، تاريخ النشر 1996م.
- 12- محمد بتلحسن التجاني، التلقي لدى حازم القرطاجني، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011.
- 13- محمد بن يعقوب الفيروز أياي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط2، 2007.
- 14- محمود، دراسة التلقي والابداع، دار جرير النشر والابداع، الطبعة الأولى، 2010.
- 15- مصطفى عبد الرحمان ابراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب مكة للطباعة ، تاريخ النشر 1998.
- 16- عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق وشرح معلم أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الأولى 2006.
- 17- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة. اعتناء ودراسة أحمد الزغبى، دار الهدى الجزائر 2009.
- 18- عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار، الفكر العربي الطبعة لسنة 1992م
- 19- علي القاسمي، علم المصطلح أسس النظرية" وتطبيقاته العلمية" مكتبه لبنان كاشرون الطبعة الأولى 2008.
- 20- ابن القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة تحقيق معتمد ياسيل عيون السود منشورات دار، الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1998م
- 21- فاطمة عبد الله الوهبيي نظرية المعنى عند حازم، القرطاجي المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 2002 فتحي أحمد عامر من قضايا التراث العربي (النقد والناقد) منشأة المعارف بالاسكندرية

22-فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي الشعر والشاعر، منشأة المعارف بالاسكندرية.

23-أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن متطور لسان العربي دار صادر بيروت.

الرسائل والدارسيات الجامعية:

1-فرحات الأخضرى، نظرية المعاناة "عند حازم القرطاجي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة 2004-2005م

2-ليلي عبد الرحمان الحاج قاسم، الذوق الأدبي في النقد القديم رسالة ماجستير جامعة أم القرى مكة المكرمة.

3-نوح أحمد خليل عيكل، المصطلح النقدي والبلاغي عند الأسسي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة 2006م

4-نبيلة سكاى التحتيل والقول بين حازم القرطاجي وجيرا جينت، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي وزو.

المجلات

1-زهير قروي، محلية العلوم الانسانية، كلية الآداب واللغات قسنطينة العدد 29 جوان 2008.

2-محمد لطفي اليوسفي، قراءة في المصطلح النقدي محلية جامعة الأقصى "المحلية" الرابع العدد الأولى يناير 2010

3- ساسي محمد الهزيمة أثر طريقة تقديم النصوص في المهارات التذوق الأدبي، محلية جامعة أم، القرى للعلوم التربوية والنفسية، والمحلية الأول

العدد الثاني يوليو 2009م

4-بن عيسى بطاهر، نظرية الأسلوب عند حازم، كحلية مجمع اللغة العربية الأردني العدد الثمانون.

5- زياد صالح الزغي، المتلقي عند حازم القرطاجي كلية الأدب جامعة اليرموك، محلية
الجامعة الإسلامية، المحلية التاسع العدد الأول 2001م

الفهرس

أب-ج	مقدمة.....
	المدخل.....
	الفصل الأول: حازم القرطاجني والنقد العربي القديم.....
05	المبحث الأول:
05	أ-سياق التواصل بين العرب واليونان: عند الفارابي-ابن سينا-ابن رشد...
06	ب-أثر التواصل في المشرق.....
11	ج-أثر التواصل في المغرب (صقلية).....
13	المبحث الثاني: حازم القرطاجني (تكوينه وثقافته).....
13	أ-تكوينه.....
15	ب-ثقافته.....
15	ب-1-حازم الشاعر.....
17	ب-2-حازم النحوي.....
21	ب-3-حازم البلاغي الناقد.....
24	المبحث الثالث: النقد الجمالي (الماهية والتاريخ).....
24	أ-الماهية.....
28	ب-التاريخ.....
35	ج-تعريف النقد (لغة واصطلاحا).....
38	1-النقد الأدبي قديما.....
	الفصل التطبيقي:
43	المبحث الأول: مادة ذاق في المعاجم اللغوية.....
46	المبحث الثاني: مصطلح الذوق في النقد القديم.....
50	المبحث الثالث: استخراج السياقات الواردة في المنهاج وتحليلها.....
69	الخاتمة.....
72	قائمة المصادر والمراجع.....
	الفهرس.....